ترجمة مقال "الإسلام" في الموسوعة العبرية العامة

وسف كلاوزنر

ترجمة: أحمد البهنسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث

© 2015
جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

ترجمة مقال "الإسلام" في الموسوعة العبرية العامة

وسف كلاوزنر

ترجمة وإعداد: أحمد البهنسي

مقدمة:

يعود تاريخ الاهتمام اليهودي بالإسلام ومصادرِه الأساسيّة وفي مقدمتها القرآنُ الكريمُ، إلى زمن ظهور الإسلام نفسه، وهو ما سجله القرآن الكريم في ورود عدد من الآيات التي تجيب على بعض التساؤلات التي طرحها اليهودُ على الرسولِ بهدف تحدّيهِ والجدلِ معه وإظهارِ ضَعفِه، وكان منها الآيات 9-26 من سورة الكهف[1].

تبدّى الاهتمام اليهودي في العصر الحديث بالإسلام، وبكل ما يتعلق بشؤونه، في ظهور ما يمكن تسميته بـ"المدرسة اليهودية في الاستشراق" وتكوّنها، وهي التي كان من أهمِّ مجالاتها: الدراساتُ الدينيةُ المقارِنةُ بين اليهوديّة والإسلام، بهدف ردِّ القرآن الكريم إلى العهد القديم، وكان من أبرز المؤلفات في هذا الصدد: كتابُ الحَبْر اليهودي الألماني الشهير أبراهام جايجر "ماذا أخذ محمدٌ عن اليهودية؟" *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*. الذي صدر باللغة الألمانية في بون عام 1834م[2].

فضلاً عن ذلك، فإنّ المستشرقين اليهودَ و"الإسرائيليين"، قاموا بنشر أفكارهم وأيديولُوجيَّاتِهم الاستشراقيّةِ عن القرآن الكريم في مؤلفاتٍ ومجلداتٍ ضخْمة، إضافةً إلى نشرِها في موسوعات ودوائر معارف كبيرة، وكان من أبرزها مقال الإسلام "אסלאם" في الموسوعة العبرية العامة باللغة العبرية.

وتعد "الموسوعةُ العبريةُ العامةُ لليهوديةِ وأرض إسرائيل"- האנציקלופדיה העברית כללית יהודית וארץ ישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות. من أهمّ الموسوعات اليهودية قاطبةً وأكبرها، فهي الموسوعة الأكثر شمولاً، المكتوبة باللغة العبرية، وقد خرجت للنور في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعود ظهورُ فكرتها إلى صيف عام 1944؛ إذ تمّ تشكيلُ لجنة من أجل تحديد توجهات الموسوعة، وبدأت طباعة المجلد الأول منها في صيف عام 1948، وأصبح البروفيسور حاييم فايتسمان أول رئيس لـ"دولة إسرائيل"، هو الرئيس الشرفي لهذه الموسوعة[3].

---

[1] أحمد علي المجدوب(د)، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، الدار المصرية- اللبنانية، القاهرة، 1989، ص 65

[2] للمزيد حول الاستشراق اليهودي والإسرائيلي في العصر الحديث يمكنك العودة لـ: أحمد صلاح البهنسي، الاستشراق الإسرائيلي.. الإشكالية.. والسمات.. والأهداف، مجلة الدراسات الشرقية، العد 37، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2007، ص 458-461).

[3] ד. אלקלעי, האנציקלופדיה העברית, דבר 28, בנובמבר 1947.

فيما يتعلّق بالترجمة الإنجليزية للموسوعة العبرية التي حملت اسم Encyclopaedia Hebraica، فقد صدرت عام 1948 في "إسرائيل"، وأشرفت على ترجمتها للإنجليزية Bracha Peli صاحبة دار نشر ماسادا في تل أبيب[4].

ينعكس طابعُ الموسوعة من خلال اسمها، فهي موسوعةٌ "عامة وشاملة" ولا تختص بعلم واحد دون الآخر؛ أي أنّها "غيرُ متخصصة"، لكن يسيطر عليها الطابعُ اليهودي الإسرائيلي[5]. كما أنّ محرريّ كتاب الموسوعة لم يخْفوا وجهاتِ نظرهم السياسية اليهودية القومية، فعلى سبيل المثال لم يُذكر بها مقال أو معلومات عن مملكة الأردن؛ لأنّ الموسوعة لم تعترفْ بها[6].

وبالنسبة إلى مقال **الإسلام "אִסְלַאם"** في الموسوعة، فهو يقع في نهاية المجلد الرابع منها، والذي صدر في عام 1951 في إسرائيل، ويشمل المقال حوالي 38 صفحة داخل الموسوعة، وهو مُقسم لـ12 عنوانًا مختلفًا حول الإسلام، وينتهي كل جزء تحت هذا العنوان بمجموعة من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الموسوعة في هذا الجزء.

أمّا مؤلفُ مقال "الإسلام"، فمن المعروف أنّ هناك آلية أو طريقة محددة لمعرفة مؤلف أو محرر المقالات بالموسوعات؛ إذ يوجد في نهاية كل مقال "حرف أو حرفان منفصلان"، هما اختصار لاسم المؤلف، وتوجد في بداية الموسوعة أو في بداية الجزء الذي يوجد به المقال في الموسوعة، قائمة بالاختصارات وأمام كل اختصار اسم المؤلف وتعريف مختصر به.

وقد تعرفنا على كاتب مقال الإسلام في الموسوعة العبرية العامة من خلال استخدام هذه الآلية، إذ يوجد في نهاية المقال حرفا (מ.פ) بالعبرية، وهما يشيران إلى وسف كلاوزنر יוסף גדליה קלוֹזְנֶר (1874-1958م) وهو مؤرخ وباحث وأديب يهودي –إسرائيلي، وهو من مواليد روسيا عام 1874 لكنّه

---

[4] /Encyclopaedia_Hebraica.htm

[5] هناك فروق بين تسميات أو مصطلحات (عبري، يهودي، إسرائيلي، صهيوني) فالتسمية "عبري- عبراني" تطلق على تلك الجماعات التي اتبعت إبراهيم عليه السلام قديمًا، ويقال: إنّه أطلق عليها ذلك؛ لأنّها عبرت مع إبراهيم عليه السلام نهر الفرات أو نهر الأردن، أو أنّها تنسب إلى جدها الأكبر المسمى بـ"عابر"، وبعد ذلك التصقت هذه التسمية في العصر الحديث باللغة التي يتحدث بها اليهود، وسميت باللغة العبرية وأصبح أدبها يسمى بالأدب العبري، أما التسمية "يهوذي-يهودي"، فتعود إلى "يهوذا" أحد أبناء يعقوب عليه السلام، ثم أطلقت على المنتمين إلى مملكة يهوذا الجنوبية التي نشأت بعد موت سليمان عليه السلام جنوب فلسطين، ثم أصبحت بعد ذلك تطلق على أتباع الديانة اليهودية، بعد أن خففت (الذال) إلى (الدال)، أما "إسرائيلي"، فأطلقت في البداية على أتباع يعقوب عليه السلام الذي أطلقت عليه التوراة في سفر التكوين اسم "إسرائيل" أي المتصارع مع الرب، ثم في العصر الحديث أخذت هذه التسمية دلالة سياسية؛ إذ أطلقت على إسرائيل كيانًا سياسيًّا غاصبًا لفلسطين، وأصبح من ينتمي لهذا الكيان يسمى بـ" إسرائيلي" حتى لو كان عربيًّا مسلمًا؛ إذ يعيش بهذا الكيان السياسي الغاصب أشخاص مسلمون وعرب. بالنسبة إلى "صهيوني" فهو يطلق على أتباع الحركة الصهيونية، وليس شرطًا أن يكون يهوديًّا أو إسرائيليًّا، فهناك أتباع وأنصار للصهيونية من النصارى. حول الفروق والدلالات المختلفة بين تسميات أو مصطلحات (يهودي، عبري، إسرائيلي، صهيوني) يمكنك العودة إلى: محمد خليفة حسن(د)، تاريخ الديانة اليهودية، بدون ناشر، القاهرة، 1996، ص 19-52.

[6] שלמה שבא, ההסתדרות באנציקלופדיה - ערך מסולף, דבר 6 באפריל 1962

درس في جامعة هايدلبرج بألمانيا، وكان من المحررين الأوائل للموسوعة العبرية العامة، كما كان من الشّخصيات الفكرية الهامة في إسرائيل، وتم ترشيحه لمنصب رئيس الدولة عام 1949م.

تتركز أهمية ذلك المقال حول الإسلام في الموسوعة العبرية العامة، في أنّه يقع ضمن أهم موسوعة عامة وأكبرها صدرت في إسرائيل، وهي المصدر المعرفي الأساسي لكل إسرائيلي أو يهودي يتقن العبرية، علاوة على أنّه تمت ترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة الإنجليزية واسعة الانتشار والاستخدام، ما يضيف إليها أهمية أخرى، إضافة إلى أنّه شارك في تحريرها نخبة من المفكرين اليهود على مدار فترات تاريخية مختلفة.

في ضوء ما سبق، فإنّ مقال **الإسلام "אִסְלַאם"** في الموسوعة العبرية العامة، هو المصدر الأولي والأساسي لمعظم الباحثين والمستشرقين الإسرائيليين واليهود المهتمين بالإسلام وكل ما يرتبط به. ما يعني أنّ ترجمة هذا المقال من العبرية إلى العربية، يعد إضافة وإفادة مهمة وحقيقة لكل باحث أو دارس للمجهودات الاستشراقية اليهودية- الإسرائيلية، لاسيما المتعلقة بالإسلام وشؤونه.

نص ترجمة مقال الإسلام "אִסְלַאם" في الموسوعة العبريّة العامة من العبريّة إلى العربيّة:

الإسلام

أ- الوصف:

1- الإسلام: هو دين يُعرَّف بأنّه عبادة الله وحده، وهو ما تمَّ تحديده منذ البداية بواسطة محمّد في القرآن، ومثلما تطور خلال الأجيال التي أعقبت موت محمّد. ويعد هذا الدين دينًا عالميًا (أيّ أنَّه لا يرتبط بشعب واحد فقط)، وهو الدين الأحدث من بين الديانات التوحيدية. إلاّ أنّ الإسلام غير محدد بحدود موضوعات الشريعة والعقيدة وحسب، بل إنّه استخدم خلفيةً لثقافة خاصّة تتوحد حولها - حتى يومنا هذا - جميع الشعوب الإسلامية، على الرغم من كلّ الفروق الجغرافيّة والعرقيّة والثقافيّة التي بينهم.

2- يُستخدم اسم الفاعل "إسلام" من جانب المؤمنين به، وفقًا لتفسير محمّد بالقرآن، بمفهوم "استسلام المؤمن لله"، لكن قبل ثلاثين عامًا تم اقتراح تفسير أكثر قبولاً للفظة "إسلام" من الناحية اللغوية، وهي أن يكون المؤمن بالإسلام "إنسانًا مسالمًا" أو "يستحق الخلاص" ومنها تم اشتقاق اللفظ "مُسلم" (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) التي تشير إلى المتمسك بالإسلام (الصورة المتداولة "مُسلمي" لا أساس لها).

ب- تَكوُّن الإسلام:

1- جاء الإسلام إلى العالم على أرض العرب، ونشأ في مدينة التجارة "مكّة "، وكان النبيُّ محمّدًا نفسه تاجرًا، وهذا العمل انعكس انعكاسا بالغ الأهمية على الشرائع التي شرعها محمّد والتي كانت شرائع مُعدَّة لسكان جزيرة العرب. وعلى الرغم من أنّ سكان هذه المدن كانوا يعبدون الأصنام ولم تكن الديانتان التوحيديتان "النصرانيّة واليهوديّة" معروفتين لديهم، إلاّ أنّ تواصل محمّد مع ممثلي اليهوديّة والنصرانيّة هو الذي أدى لشهرته، وظهرت في دينه دلائل قويّة لتأثير هاتين الديانتين، كما ظهر أيضا تأثير من جانب ديانات أخرى متطورة.

ولم يكن محمّد هو النبي الوحيد الذي ظهر في أوساط العرب خلال هذه الفترة الزمنية، فالتراث يحكي لنا عن عدد من الأنبياء الآخرين، الذين من الصعب تحديد من منهم الأقدم من حيث الفترة الزمنيّة، إلا أنَّ محمّدًا نجح - على عكس هؤلاء الأنبياء - في أن يتحول دينه إلى دين العرب جميعًا، كما نجح في استغلال العرب لتنفيذ مخططات مكّنت الإسلام فيما بعد من أن يحتل عالمًا كاملاً، كان جزء منه مدينتي مكّة والمدينة اللتين نجح الإسلام في احتلالهما نجاحًا باهرًا.

2- مشروع محمّد، ويبرز بشكل أساسي في:

أ- فكرة يوم الدين (انظر عنوان: "نهاية الأيام في الإسلام" بالموسوعة نفسها)، ووفقًا لهذا المفهوم فإنّه لدين محمّد طابع أخلاقي على خلاف الديانات الوثنية لآبائه.

ب- إرساء مكانة الله إلهًا واحدًا وإلغاء كل الآلهة المقدّسة لدى العرب في زمن محمّد.

ج- إعطاء توراة مكتوبة، والتي جاءت لمحمّد أجزاء أجزاء من خلال "أمّ الكتاب" الذي في السماء على أيدي الملاك جبرائيل.

د- التأكيد على قداسة الكعبة، البيت المقدس (المعبد) في مكة، بعد أن تمّ تطهيره من عبادة الأصنام.

هـ- تقديس شخصية أبراهام[7] أبينا "خليل الرحمن" مؤسسًّا لدين التوحيد ومؤسس الكعبة، وقد رأى محمّد نفسه مجددًا لمكانة دين أبراهام، وبهذا رأى محمد خصوصية رسالته لاسيما بعد زوال دين أبراهام، وبعد تمرد اليهود أبناء أبراهام.

و- تشريع تشريعات، اتسمت بسمات غير مسبوقة من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية على خلاف ذلك الوضع الذي كان سائدًا قبل ظهور محمّد.

ز- وضع الأساس للتنظيم الديني والسياسي للمؤمنين به، الذي ألغى – على أرض الواقع- النظام القبائلي، وحفظ للإسلام منذ البداية طابعه المُزدوج الذي يجمع بين الدين والدولة في آن واحد.

[7] فضّل المترجم استخدام اسم "أبراهام" بلفظه ومنطوقه العبري ودلالاته في الديانة اليهودية، بدلاً من اسم "إبراهيم" بمنطوقه العربي، ودلالاته الإسلامية، ذلك نظرًا لأنّ شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام، جاءت مختلفة من حيث الأوصاف والصفات في المصادر الدينية اليهودية عما هي عليه في المصادر الدينية الإسلامية، والتي وردت فيها شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام ذات خصوصية، تعبر عن المفهوم القرآني والإسلامي للأنبياء وعصمتهم، وذلك على عكس ما جاءت عليه في المصادر الدينية اليهودية.

ح- إخضاع جزء من قبائل العرب لسيطرته، ولسيطرة الله، تلك السيطرة التي تم استكمالها بعد موت محمّد، ووصلت لذروتها عن طريق حملات الاحتلال.

ح[8]- إعادة مكة، مدينة ميلاد محمّد، إلى سيطرة الإسلام بعد تركها عام 622 م (انظر مقال "هجرة" بالموسوعة)، وأنشأ لنفسه في المدينة (انظر مقال يثرب في الموسوعة) قاعدة لأعماله وأنشطته... وغيرها.

ي- اعتماد اللغة العربية أساسًا للغة الدينيّة للإسلام.

3- تأثير الديانات التوحيدية السابقة للإسلام، والتي اعترف بها محمّد طوال فترة حياته، لكنّه لم يعلن أنّه يدعو لدين جديد، وكان الجديد الذي جاء به محمدّ - وفقًا لرأيه - هو أنّ القرآن "عربيّ"، ما يعني أنّ أبناء عمومته بإمكانهم الاستفادة من تلك القوانين والتشريعات الصالحة، التي أعطاها الرب للشعوب الأخرى بلغاتها الأخرى المختلفة. وبعدما استقرت دعوة محمد في المدينة، والتي لم يعترف اليهود بها وبدين الإسلام الذي يعد الصورة العربية لدينهم، حينها فقط بدأ محمّد في إشاعة فكرة أنّ توراته مختلفة عن توراة اليهود، وبعدها سعى إلى إبراز الفروق التي بين الإسلام واليهوديّة، ووفقًا لذلك بدأ محمّد في تغيير اتجاه الصلاة، وفرض على المؤمنين به التوجه نحو "بيت الله" في مكة، كما ألغى صوم يوم عاشوراء في اليوم العاشر من شهر محرم (انظر العنوان نفسه من الموسوعة)، وحدّد بدلاً منه صوم شهر رمضان (انظر العنوان نفسه من الموسوعة). وبالنسبة إلى يوم القراءة- المقدس (الجمعة) فقد حُدّد له اليوم السادس من الأسبوع ولم يُفرض على المؤمنين التوقف عن العمل فيه باستثناء وقت صلاة الظهر، كما خفّف كثيرًا من المحظورات الخاصة بالأطعمة الحرام تناولها، إذ لم يحظر منها سوى أكل لحم الخنزير.

وقد بقيت كل هذه التغييرات في إطار فرائض عملية، لذلك لم يكن بهم ما يُمكن أن يُغير من الطابع العام لدين محمّد، ذلك الطابع المشترك بين دينه وبين كل من اليهوديّة والنصرانيّة.

فيما يتعلق بالمصدر الأساسي الذي تأثر به دين محمّد، فقد انقسم الباحثون حول ذلك إلى معسكرين؛ الأول: مالَ كثيرًا إلى اليهوديّة، والثاني: مالَ إلى النصرانيّة. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى رأي

[8] المفترض طاء لكنه خطأ مطبعي في نص الموسوعة.

"أندريه[9]" الذي نَسبَ إلى اليهودية غالبية التأثيرات من الناحية الماديّة، في حين نَسب إلى النصرانيّة، خاصة النصرانيّة في صورتها الشرقيّة، التأثيرات من الناحية الروحيّة.

ج- العالم الإسلامي:

1- انتشار الإسلام إلى خارج حدود الجزيرة العربية: بدأ على الفور بعد وفاة محمّد، عقب قمع تمرد القبائل، الذين حاولوا التخلص من عبء سلطان المدينة عليهم. وعقب استكمال احتلال الجزيرة العربية بأكملها بعد وفاة محمد عام 632 م، حكم أربعة خلفاء، وصلوا إلى سدة الحكم عن طريق الانتخاب (الخلفاء الراشدون)، وهم: أبو بكر (انظر العنوان نفسه بالموسوعة) 632-634م، وعمر (انظر العنوان نفسه بالموسوعة)، 634-644م، وعثمان (انظر العنوان نفسه بالموسوعة) 644-656 م، وعليّ (انظر العنوان نفسه بالموسوعة)، 656-660م.

احتلت في عهد عمر، كل من سوريا وأرض إسرائيل وآرام النهر، وبابل وأرمينيا وفارس ومصر ووسط شمال أفريقيا، وخلال التسعين عامًا لحكم بني أميّة 661-750م، تم احتلال كل شمال أفريقيا، وأسبانيا وعمق نهر هيندوس، وأيضًا أفغانستان والأراضي الواقعة شرقي نهر أوكسّوس. وخلال هذه الفترة كثيرًا ما فرض العرب حصارًا على كوستا 673/77م، و717/18م، وتسللوا كذلك إلى جنوب فرنسا، لكن تمّت عرقلتهم عام 732م بالقرب من بواتيا على أيدي كارل مارتل.

كانت السيطرة على كل هذه الأراضي الشاسعة التي احتلت من جانب المسلمين، خلال فترة حكم بني أُميّة، مركزة في أيدي السلالة الحاكمة فقط، وكانت عاصمتهم دمشق، كما تمكن قادة بني أميّة من السيطرة على المناطق البعيدة جدًا من العاصمة الأمويّة، وبعد أن تمت إزاحة بين أميّة على أيدي بني عباس في 750 ميلاديّة، أُقيمت عاصمة جديدة وهي بغداد على نهر الفرات عام 762م، وهذه المدينة أصبحت مركزًا للإسلام لمدة خمس قرون، حتى تم احتلالها وتخريبها على أيدي المغول عام 1258م، وهذا الحدث وضع حدًا لسلالة بني عباس، التي هرب حاكمها إلى القاهرة.

تفرقت كذلك المملكة العربية الواسعة الأرجاء، خلال فترة حكم بني عباس، وانفصلت عدد من الممالك العربية التي كانت تعترف اعترافًا جزئيًا بسلطان الخليفة في بغداد؛ فحكام بني أمية أقاموا في عام 756م إمارة في قرطبة بأسبانيا، وتم إعلانها عام 928م إلى درجة خلافة، كما أنّ الفاطميين، وهي سلالة

[9] ***Tor Andræ* تور أندريه (1885-1947):** هو مستشرق سويدي، وكان أستاذًا للعلوم الدينية في جامعة ستوكهولم، ومن أبرز مؤلفاته، كتاب "Mohammed: The Man and His Faith"محمد حياته وعقيدته"، وهو الذي استعانت به الموسوعة في هذا المقال **(المترجم)**.

شيعية إسماعيلية، أقاموا عام 910م خلافة مستقلة في تونس، وفي عام 973م احتلوا مصر وأسسّوا القاهرة، وظل سلطانهم عليها حتى عام 1171م، حينما سقطت مملكتهم في أيدي صلاح الدين الأيوبي (انظر العنوان نفسه بالمقال نفسه)، الذي احتل القدس من أيدي الصليبيين. كما أُقيمت كذلك ممالك مستقلة في أجزاء أخرى من الأراضي التي احتلها المسّلمون، وكانت منها سلالات الأدارسة في المغرب(788-974م)، والأغالبة في تونس (800-909م)، والطاهريون في خورستان (819م)، والطولونيون في مصر (868م)، والسامانيون في بُخارى (874 م)، والغزنويون في أفغانستان(976م)، والسلاطنة السلجوقيون (1038-1157م)، والسلجوقيون في العراق (1118-1194م)، وفي كرمان (1041-1186م)، وفي سوريا (1078-1117م)، وفي آسيا الصغرى (1077-1302م). والمرابطون في المغرب وجنوب أسبانيا (فيما بعد 1060م)، والذين تمت إزاحتهم بعد ذلك على أيدي الموحدين (1146م)، والحفصيون في تونس 1228-1574م.... وغيرهم.

وقد توسعت الاحتلالات الإسلامية بشكل كبير، إلا أنّ المسلمين لم يتمكنوا من السيطرة على كل الأراضي التي احتلوها، ففي عام 831م تم احتلال باليرمو عاصمة سيسيليا، وفي عام 1085م تم طرد المسلمين منها بالكامل على أيدي النورمانيين، وفي عام 1099م احتل الصليبيون القدس وسلطانهم ظل بالمدينة المقدّسة حتى عام 1187م، وفي أجزاء أخرى من أرض إسرائيل حتى عام 1291م. أما آسيا الصغرى فتم احتلالها من قبل السلجوقيين الذين أقاموا بها سلطنة قونيا، ومهدوا الطريق للاحتلالات التي قام بها الأتراك العثمانيون.

ومثلما أضاف السّلاجقة بدخولهم الإسلام قوة إليه وإلى العالم الإسلامي، فكذلك كان المغول الذين اجتاحوا آسيا خلال القرنين الـ13 والـ14م، وكذلك الإيلخانيون في فارس، الذين قام أبو هذه السلالة (هولاكو) باحتلال بغداد عام 1282م، إلا أنّ أحفاد الخان "باتو"، دخلوا الإسلام.

وفي عام 1254م، وبالتزامن مع خراب بغداد، وضع المماليك حدًا لحكم الأيوبيين (أحفاد صلاح الدين)، وذلك بعد دورهم الكبير في التصدي للغزو المغولي؛ إذ أقاموا حكمهم في مصر حكمًا مستقلاً حتى تم احتلال مصر على أيدي العثمانيين عام 1517م، وبعد ذلك أصبح المماليك حكامًا تابعين للعثمانيين حتى غزو نابليون لمصر عام 1798م.

لم تكن مقاومة السلاجقة للمغول كتلك المقاومة التي أظهرها المماليك للمغول في مصر، وبنهاية حكم سلاطنة السلاجقة وبين فترة إقامة الحكم العثماني في آسيا الصغرى، مرت فترة لا تقل عن مئة عام، كانت فيها تلك البلاد خاضعة للطغاة المغول، أمّا الإمارات السلجوقية التي بقيت في تلك المناطق خلال

هذه الفترة، فقد خضعت لسلطان العثمانيين 1391-1399م. فقد بدأ سلطان العثمانيين الفعلي في آسيا الصغرى بداية القرن الـ14م؛ فقد تم احتلال بورصه عام 1326م وخلال هذه الفترة التي استمرت مئة عام، تسلل الأتراك إلى أراضي البلقان، وفي نهاية هذا القرن من الزمان أصبحت مقدونيا وبلغاريا بأيديهم، في حين أنّ قطاعًا صغيرًا من الأراضي الواقعة وراء كوستا وعاصمتها كانت تحت سيطرة البيزنطيين.

2- شهد القرن الـ15 م، تحررًا كاملاً لغرب أوروبا من سيطرة الإسلام، وتم استكمال طرد المسلمين بالكامل من أسبانيا عام 1492م، بالتزامن مع طرد اليهود كذلك، لكن قبل أربعين عامًا من هذا التاريخ وقعت كوستا في أيدي محمد الثاني، وبذلك انتشر حكم الإسلام بشكل غير مسبوق منذ أربعة قرون في مناطق مهمة بشرق أوروبا، وظلت بقايا هذا الانتشار الإسلامي قائمة حتى يومنا هذا في صورة الدولة الإسلامية على الأراضي الأوروبية وهي (دولة ألبانيا).

كانت هناك ممالك إسلامية قائمة خلال العام 1500 م، في كل مناطق شمال أفريقيا وأرض إسرائيل وسوريا وآسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان حتى الحدود المجرية، وشبه جزيرة العرب، والعراق، وأرمينيا، وفارس، وفي أجزاء مهمة بالهند، والممالك المنغوليّة، والتي بقيت حتى بعد وفاة تيمورلنك في 1405م.

3- تراجع الحكم السياسي للإسلام خلال الـ 450 عاما الأخيرة، خاصة بعد دحر الأتراك من شرق أوروبا، وبسبب إقامة الحكم الاستعماري على أيدي الدول الأوروبيّة العظمى في عدد من الممالك المستقلة السابقة، لكن خلال هذه الفترة أُقيمت الإمبراطورية الإسلامية في الهند، كما حصل عدد من الدول التي كانت واقعةً تحت الاستعمار الأوروبي على الاستقلال. لكن من الناحية الدينية احتل الإسلام خلال الـ450 عامًا الأخيرة أراضي أخرى في أفريقيا وشرق آسيا بدلاً من تلك التي فقدها في أوروبا.

4- يتكون العالم اليوم من دول إسلامية مستقلة في أفريقيا وآسيا وأوروبا (ألبانيا)، ودول إسلامية تحت حكم غير المسلمين (مثل مالايا، الجزائر، تونس)، ومن شعوب إسلامية بلا تنظيم سياسي مستقل مثل الشعوب الإسلامية الواقعة في دول الاتحاد السوفيتي، ومن شتات إسلامي داخل دول غير إسلامية مثال في أمريكا وشينغيانج في الصين.

وصل عدد المسلمين في الوقت الحالي لحوالي 300 مليون نسمة، بهم أكثر من 90 مليونًا في الهند، وأكثر من 55 مليونًا في مالايا وإندونيسيا، و15 مليونًا في البلدان العربية، و17 مليونًا في مصر

والسودان الشرقي، و16 مليونًا في بقية شمال أفريقيا، و15 مليونًا في فارس، و12 مليونًا في أفغانستان، و18 مليونًا في تركيا، وما لايقل عن 30 مليونًا في روسيا الآسيوية والصين، و24 مليونًا في أفريقيا الكوشية والشرقية، و3 ملايين في البلقان وجنوب روسيا، ويضاف إلى ذلك المسلمون الموجودون في البلدان الأوروبية وأمريكا (حوالي 2 مليون).

وقد تم استقاء هذه الملعومات من جيب (Gibb)، لكن "زكي علي[10]" يُعطي في كتابه أرقامًا أكبر من هذه الأرقام بكثير، ووفقا لتقديراته فإنّ عدد المسلمين يصل إلى 400 مليون نسمة تقريبًا.

5- كان اليهود والنصارى تحت سلطة الإسلام، خاضعين لظروف مختلفة وفقًا لاختلاف الزمان والمكان. فالطائفتان (اليهود والنصارى) كانتا موجودتين في الجزيرة العربية قبل ظهور محمّد، إلا أنّ الإسلام طالب عبدة الأصنام بالاعتراف به وحسب، ولم يطلب ذلك من اليهود والنصارى وبقية "أهل الكتاب"، فقد طُلب منهم فقط دفع ضرائب خاصة.

بشكل عام، كان اليهود يعيشون في ظل ظروف وأوضاع لم تكن موجودة على الإطلاق تجاه اليهود والمسلمين في البلدان النصرانية، فلم يتم إجبار اليهود الذين يعيشون في بلدان إسلامية على دخول الإسلام بالقوة ولم يتم طردهم، مثلما تمّ طرد اليهود من البلدان النصرانيّة. كما أنّه في بعض الأماكن انتهج حكام المسلمين، سياسة الاستفادة من الخدمات الجيدة التي يقدمها اليهود والنصارى بالجيش وبالوظائف الحكومية العليا، وبمرور الوقت تم وضع حدود معينة لليهود والنصارى بهذه البلدان، مثل منع بناء دور عبادة جديدة- في حين تم السماح لهم بترميم دور العبادة القائمة بالفعل وتقويتها - إضافة لبعض الأحكام المتعلقة بارتداء لباس معين، وبعض الأمور الأخرى. لكن هذه الأحكام لم تكن مُستحدثة من الإسلام، لكن كلها أو معظمها هي من موروثات الإمبراطورية الرومانية النصرانيّة، وفي معظم الحالات لم يكن المسلمون حريصين على تنفيذها، باستثناء أيام الخليفة المتوكل (847-861م)، فهي التي اتسمت بسوء معاملة أهل الديانات الأخرى، وكذلك خلال فترة حكم البربر الموحدين، ولكن هذا لم ينتشر في كل المجالات إبان حكم المسلمين على مر التاريخ.

تغيرت الأمور فيما يتعلق بالعلاقة مع النصارى، خلال فترة حكم العثمانيين، بسبب سياسات الدول الاستعمارية الأوروبية، وهم الذين رأوا في أنفسهم رعاة لأمور إخوانهم في الدين من العرب الذين يسكنون في تركيا (انظر مقال تركيا في الموسوعة).

[10] تقصد الموسوعة هنا كتاب زكي علي، المعنون بـ"الإسلام في العالم" والتي استعانت بنسخته الإنجليزية لكتابة هذه الجزء من المقال. (المترجم).

د- علاقة ثقافة الإسلام بالثقافات السابقة لها:

1- وصلت الثقافة الإسلامية لدرجة من التوحّد، ذلك على الرغم من أنّها اتسعت لتشمل أكثر من نصف مساحة البسيطة شرقًا وغربًا، ولتشمل حوالي ثلث مساحة الكرة الأرضية شمالاً، وكانت جذور هذه الثقافة قوية جدًا حتى في الفترة التي عاشت فيها بأجزاء من أوروبا، التي تحررت بمرور الوقت من سلطة الإسلام مثلما حدث في أسبانيا وسيسليا وبلدان البلقان. وقد تنوعت الأسباب الكامنة وراء وحدة هذه الثقافة الإسلامية بين الداخليّة والخارجيّة.

2- كانت العناصر الداخلية هي: أ- الدين، ب- اللغة العربية (انظر العنوان نفسه بالموسوعة)، ذلك نظرًا لأنّها اللغة المقدسة للقرآن وللشريعة الإسلامية، فقد احتلت مكانة مهمة بالبلدان التي دخلها الإسلام، والتي لم تكن العربية هي لغة سكانها، إلا أنّ العربية منحت للغات الشعوب التي دخلت الإسلام ألفاظًا وأجزاء كلمات كثيرة. ج- القضاء المدني والجنائي، وتنظيم المحاكم، وصورة إدارة القضاء، فصورة كل هذه الأمور لم تختف حتى الآن في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، د- استخدام الخط العربي في كل البلدان الإسلامية ذات اللغات المختلفة، باستثناء تركيا التي استبدلت بعد الحرب العالمية الأولى الخط العربي بالخط اللاتيني. أما بالنسبة إلى الشعوب الإسلاميّة التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، ومتأثرة سياسيًّا وثقافيًّا به، فقد استخدموا خطًا عمليًا، وبالنسبة إلى مالطا فإنّها، على الرغم من أنّها استوعبت الثقافة العربية بشكل أساسي، استخدمت فيما بعد العصور الوسطى لغة إيطالية معينة كُتبت بحروف لاتينية، هـ - الفنون: نظرًا للضرورة الدينية للصلاة بالمسجد، والدور الحاسم للخط العربي بوصفه عنصرًا زخرفيًّا، إضافة إلى أنّ تحريم عمل أي صورة أو تمثال، حدَّد ماهيّة الفنون الإسلامية (انظر مقال "الفنون الإسلامية" بالموسوعة).

3- أما العناصر الخارجية، فتتحدد في أهمية البلدان التي احتلتها الجيوش الإسلاميّة، والتي كانت في معظمها تسيطر عليها الثقافة الهيلنيتسيّة، مثل البلدان الواقعة غربي نهر الفرات والتي كانت كلها جزءًا من الإمبراطورية الرومانية، أو البلدان التي تأثرت بشكل كبير بالحضارة الهيلنيستيّة، مثل البلدان الواقعة من شرق نهر الفرات وحتى حدود الهند؛ فالهلينستيّة وجدت هناك في البداية على أيدي المستوطنين اليونانيين، وأيضا على أيدي حكم اليونان لأجزاء من هذه البلدان، وبعد ذلك بتأثير من النصارى الذين تمت مطاردتهم على أيدي الكنيسة الأورثوذكسيّة البيزنطيّة وطلبوا اللجوء في أجزاء مختلفة من أراضي الإمبراطوريّة الفارسيّة.

لم ينتج عن الاحتلالات الإسلاميّة لهذه المناطق، تغيير لنمط الحياة الثقافية بها، فيمكن القول إنّه بشكل أو بآخر لا تعد الثقافة الإسلاميّة وريثة للثقافة الهيلنيستية في لباس إسلامي – عربي- فارسي، في حين أنّ ثقافة أوروبا في العصور الوسطى هي التي ورثت هذه الثقافة (أي الثقافة الإسلامية) في لباس نصراني – لاتيني، أو أنّ الثقافة البيزنطية هي التي ورثتها في لباس أورثوذكسي- يوناني.

ولم يتم التعبير عن هذه الحقيقة بشكل عملي في الثقافة الروحانية غير الدينية وحسب، أي في الفلسفة وعلوم الطبيعية والطب، ولكن أيضًا تم التعبير عنها بشكل كبير في الثقافة الدينية نفسها كذلك. وذلك بعد أن وضع بحث علوم الفكر بواسطة منظومة المصطلحات للعالم الكلاسيكي، وضع بصمته على اللاهوت وبشكل كبير على القوانين والتشريعات الإسلامية. لكن الشعوب التي دخلت في الإسلام استوعبت الكثير من الألفاظ والمصطلحات اليونانية واللاتينية، سواء بشكل مباشر أو سواء عن طريق اللغتين السُريانيّة والفارسيّة، وكانت مصادر هذه الألفاظ هي كتابات الأدباء اليونانيين التي تُرجمت إلى العربية (كتب أفلاطون وأرسطو وأبيقراط "سقراط" وجالينوس، وديسقوريديس، واقليديس وبطليموس)، وكان تراث القيادات الإدارية في هذه البلدان هو الذي ورث التراث العربي قبل أن ترثه أيّة جهة أخرى.

مع ذلك، فإنّ الثقافة الهلينستيّة في وقتها لم تنتشر في فضاء واسع، وتأثرت بالكثير من المراكز الثقافيّة الرئيسة في البلدان التي احتلتها، وكذلك أيضًا تم إغناء الثقافة الإسلاميّة بالكثير من الأسس الثقافيّة لشعوب البلدان التي احتلها الإسلام، وخاصة من الثقافة الفارسية لاسيما في مجالي الشعر والفنون.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كل رجال العلوم في الإسلام خاصة في فترة نموه كانوا من الفرس ولم يكن ذلك في العلوم وحسب، ولكن في اللغة العربية أيضًا.

حصلت الثقافة الإسلاميّة من الهند على (الأرقام) المعروفة بـ"الأرقام العربية"، والتي أحدثت ثورة عالميّة في طرق الحساب عن طريق وضع رمز خاص للصفر، الذي مَكّن من استخدام الطريقة العشرية في كتابة الأرقام. كما حصلت الثقافة الإسلاميّة من الهند كذلك على النظرية المتعلقة بالـ 27 والـ28 منزلة للقمر والتي كان حسابها يتعلق بعلوم الفلك (انظر مقال الفلك بالموسوعة). كما أغنت الهند أيضًا الثقافة المادية للإسلام عن طريق الاختراعات القيّمة في مجالات الأدوية والفلك، والأعمال الحسابيّة المتطورة، لكن الإسهام الهندسي الأشهر كان في مجال الأدب النثري، فحتى اليوم يتخذ أي طفل في العالم الإسلامي خطواته الأولى في مجال دراسة الأدب عن طريق قراءة كتاب "كليلة ودمنة"، وما هو إلا ترجمة عربية لكتاب فانتشاتانترا الهندي، الذي كُتب قبل ما لا يقل عن 150 عامًا من ظهور الإسلام.

4- الشعوبيّة: جزء مهم من الشعوب غير العربية التي ساهمت في تشكيل الوجه الثقافي للإسلام لاسيما الفرس، ظهرت لديهم نعرة الفخر القوميّة، والتي أدت بهم إلى رفض الأساس العربي للثقافة الإسلاميّة، وأدى بهم للميل للمطالبة بحقوق أكثر، وهذا التوجه عُرف باسم (الشعوبيّة) أو (القومجيّة).

5- من الضروري التأكيد على أنّ بقية الشعوب التي دخلت الإسلام، أضافت من تراثها الثقافي للثقافة الإسلاميّة العامة، مثل البربر في المغرب والأتراك في آسيا الصغرى، وفي زمن متأخر جدًّا يُضاف إليهم أيضًا شعوب البلقان، إلا أنّ جزءًا من هذه الشعوب لا يمكن مقارنتها بالشعوب ذاتها التي لها جذور ثقافيّة هيلينستيّة مثل الهند وفارس. يُذكر كذلك أنّ الأصول الصينية موجودة في الثقافة الإسلاميّة حتى يومنا هذا.

هـ- تطور الدين الإسلامي:

1- إنّ دين محمّد كما تبلور في القرآن، لم يكن سوى نقطة النشأة للدين الإسلامي؛ إذ لا يمكن التعرف على الإسلام من خلال القرآن وحسب، مثلما إنّه لا يمكن التعرف على اليهوديّة من خلال التوراة فحسب أو من خلال العهد القديم وحسب، ومثلما لا يمكن التعرف على النصرانيّة من خلال العهد الجديد وحسب.

وإذا كان بالفعل يوجد للدين الإسلامي بكل جوانبه، نقطة انطلاق في القرآن، الذي كان عملاً كبيرًا حقًا، نشأ خلال فترة حياة شخص واحد فقط، ومع ذلك فإنّه لم يكن من غير الممكن أن يُستخدم – أي القرآن- أساسًا لنهج ديني لعشرات الملايين من البشر على مر الأجيال؛ إذ إنّ ظروف الحياة أدت إلى أن يتطور الدين بعيدًا عن الحدود الضيقة للقرآن، الذي لم يخرج على شكل كتاب كامل خلال حياة النبي، كما أنّه ناقص وفقًا لبنائه وأسلوبه سواء فيما يتعلق بمجالات الشرائع أو بمجالات التاريخ المقدس والقصص، لذلك فإنّ تطور التفسيرات القرآنية انتشر بشكل كبير في أوساط الإسلام.

2- فيما يتعلق بالتطور الأساسي للدين الإسلامي، فقد تم وضع "توراة شفويّة"، أصبح لها ثلاثة أدوار. أ) استكمال التوراة المكتوبة وفقًا للمعلومات حول سلوك النبي (سُنّة) والتي تشتمل التعليمات التي أعطاها محمد تفصيلاً، أووفقًا لشهادات رجال معيته (الصحابة) حول أسلوب حياة النبي والتي لم تكن على شكل تعليمات مباشرة، أو الأفعال التي فعلها غيره في حضوره ولم يعترض عليها محمد. ب) إعطاء معلومات حول حياة النبي وحول الظروف المختلفة المتعلقة بنزول الأجزاء المختلفة للقرآن. ج) بلورة ثروة من الأقوال المتعلقة بأمور العقيدة والأخلاق، المنسوبة إلى محمّد وصحابته.

ويمكن مساواة هذه التوراة الشفويّة الإسلاميّة من حيث طابعها بالمدراشيم[11] التشريعية والآجادا[12]، أكثر ما يمكن مساواتها بالتلمود والجمارا؛ إذ أنّها مُكونة – أي التوراة الشفوية الإسلاميّة- من وحدات صغيرة من "الحديث" التي تشتمل على سلسلة القبول (الإسناد)، التي تأتي للتدليل على صلاحيّة المحتوى. ذلك المحتوى ذاته الذي أدى اختلاف الآراء حوله إلى التشكيك في الكثير من التراث المتعلق بالتوراة الشفويّة. وفي الواقع فقد استخدم الحديث صورة أدبيّة ممنهجة لوضع تشريعات جديدة.

جمع كل التراث المتعلق بالتوراة الشفويّة عدد من رجال الدين، بعد تحقيقها وفحصها في عدد من الكتب، ومنها الجامع الصحيح للبخاري 810-870م، والذي يعد مساويًا من حيث قداسته للقرآن نفسه.

يلاحظ في عدة مواضع بالحديث، الكثير من التأثيرات اليهودية والنصرانية وكذلك التأثيرات الأخرى، ليس فقط في المواضع المتعلقة بقصص المقرا[13] التي بالقرآن وبجدل محمد مع اليهود والنصارى، ولكن أيضًا هي موجودة في الكثير من المقولات التلموديّة ومقولات عيسى التي جاءت على لسان محمّد، ومن هنا تطور فرع خاص سُمي بـ" قصص الأنبياء"؛ فـ النبي "في الإسلام ليس الذي اسمه "نبيّ" وحسب كما هو في المقرا، ولكن أيضًا أولئك الأشخاص الوارد ذكرهم في المقرا والعهد الجديد وكان لهم اتصال مباشر مع الإله، وتم ذكر قصصهم من مواد مقرائية ومدراشية وإسلامية، كما أنّ صورة "الأحاديث" تدل كذلك على تأثير يهودي بارز.

3- إنّ تطور الشريعة تم تأسيسه بشكل أساسي فيما يتعلق بالعبادة والقانون اللذين كانا قائمين أصلاً قبل ظهور محمد؛ فشرائع القرآن أخذت في الحسبان الواقع القانوني والتعبدي الذي كان موجودًا سابقًا، والذي يدل كذلك على تأثير يهودي ونصراني في آن واحد.

وقد نشأ القانون الإسلامي عن طريق نقاش من الناحية الدينية حول المواد القانونية التي لم تكن موحّدة حتى ذلك الحين، وقد اشتمل هذا القانون الإسلامي على وجهات نظر البدو في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقانون البيع والشراء لمدينة مكّة التجارية، والقانون الزراعي لمدينة المدينة، وعدد من الأسس

---

[11] مدراشيم وبالعبرية **מדרשים:** عبارة عن تفسيرات وشروح للعهد القديم نتج عنها ما يعرف باسم أدب المدراشيم والذي ينقسم إلى הלכה (هالاخاه) مرتبطة بالتشريعات وآجادا אגדה أو هاجدا הגדה، مرتبطة بالقصص. **(المترجم)**.

[12] **آجادا وبالعبرية אגדה:** فهي المادة المتنوعة الموجودة في التلمود والمدراش وهي مشتقة من الفعل הגיד بمعنى يقول أو يروي، **وهي** أحد أنواع الإنتاج الأدبي لليهود في فلسطين وبابل حتى عصر الهيكل الثاني تقريبا، والتي تنوعت واتخذت العديد من الأشكال بعد استيلاء الإسكندر الأكبر على فلسطين333 ق. م وحتى 322 ق. م، حتى صارت شكلاً أدبيًا مستقلاً على مدى أكثر من ألف سنة حتى فتح العرب المسلمون فلسطين، وبالتالي فهي تجمع نتاج موروث تاريخي يهودي كبير مختلط ومتأثر بالكتب الدينية اليهودية خاصة التلمود. **(المترجم)**.

[13] **مقرا وبالعبرية המקרא:** وهي التسمية العبرية لكتاب اليهود المقدس، وتعني المقروء. **(المترجم)**.

الأخرى الكثيرة، التي كان أصلها مختلفًا عن تلك الأسس التي تم استيعابها في سنوات الاحتلالات الإسلاميّة. وكل هذه الأسس تم صهرها في داخل بوتقة دينية- أخلاقية- تعبدية واحدة.

كانت الاختلافات التي بين المواد القانونيّة المُعدّة وبين أسس إعدادها، من العناصر الإضافيّة التي استخدمت لزيادة التداخل الذي يسم القانون الديني، الذي لا يميز بين القوانين وبين المطالب الأخلاقيّة والتعبديّة.

وصل تحديد الحياة القانونيّة بإطار من الدين إلى ذروته، بمرور مئات السنوات، وسلطان القانون الذي نشأ خلال هذه السنوات كان محددًا دائمًا بحدود معينة، نظرًا لأنّ القضاة عادة ما كانوا تابعين للحكومات التي بيدها السلطة، ليس هذا وحسب، بل إنّ هناك الكثير من الشؤون القانونية لم تعرض من الأصل على منصة القضاء، لكن كان يتم ترتيبها بطريقة إدارية، وعلى الرغم من أنّ الإسلام لم يعان أبدًا من ظاهرة "الشتات[14]"؛ إلاّ أنّ الشريعة في الإسلام دائمًا ما كانت تعاني من الاضطهاد وكانت السلطة تقوم بترتيب الشؤون العامة، وفي أحيان أخرى الشؤون الخاصة أيضًا، وحتى من دون الرجوع لكلام الله.

تكونت خلال القرنين 2 و3 للهجرة (8 و9 ميلادي)، مدارس تفسرية للشريعة (مذاهب، المفرد مذهب)، والتي يوجد منها حتى اليوم، 1- مدرسة مالك بن أنس (توفى في 179/795) والتي خرجت من المدينة، 2- مدرسة أبي حنيفه (توفى 150/767) التي تمثل تراث العراق، ووصلت إلى الحكم على أيدي اثنين من تلاميذ مؤسس هذا المذهب وهما أبو يوسف (توفى 182/798) ومحمد الشيباني (توفى 189/804)، 3- مدرسة الشافعي (توفى 204/820) وهو تلميذ مالك والشيباني، وهو الذي عاش بالقاهرة، 4- مدرسة ابن حنبل (241/85)، والتي كان تأثيرها محدودًا في البداية لكن قوتها زادت مع اعتناق الوهابيين لفكر هذه المدرسة.

يجب التفريق في الإسلام بين القانون نفسه (شريعة) وبين علوم القانون (الفقه)؛ أي الأسس التي تُفهم بها الشريعة، وذلك بعدما نشب خلاف حول هل من حق الفقيه أن يُطلق حكمًا وفق رأيه أم أنّه مرتبط بالتوراة المكتوبة وبالتوراة الشفوية؟، وقد تم حسم الأمر لصالح أصحاب "إعمال الرأي"، وتبلورت أربعة جذور (أصول) مصادرَ لتحديد الشريعة: 1- القرآن، 2- السنّة، 3- القياس، 4- الإجماع، أي توافق رجال الدين. وكان الأصل الأخير هو الذي يحدد في الواقع الصلاحيات العليا، وكانت له أهمية حاسمة؛ لأنّ معظم هذه الصلاحيات تُحدد أيضًا مدى استخدام الأصول الثلاثة الأولى.

[14] **الشتات:** هو تعبير يخص الثقافة اليهوديّة ويشير إلى تلك البلدان التي تفرق بها اليهود وتشتتوا وانقسموا لجماعات وفرق مختلفة، بعد تعرضهم للسبي والطرد من مواطنهم التي كانوا يعيشون بها أكثر من مرة على مر تاريخهم. **(المترجم)**.

كان حق استخدام هذه الأصول محفوظًا لعلماء الأجيال الأولى فقط، والتي كانت بأيديهم سلطة "الاجتهاد" (أي البحث في المصادر)، ووفقا للإسلام السُّني، فإن باب الاجتهاد انغلق مع نهاية القرن الرابع الهجري (حوالي عام 1000 ميلادي)، وكل فقيه أو قاض بعد ذلك الزمن هو ملتزم بـ"التقليد" أي الالتزام بدون نقد لآراء علماء الجيل الأول من المذهب الذي يعتنقه، لكن في أجيال مختلفة ظهر أناس طلبوا لأنفسهم حق الاجتهاد، ومعظم الطوائف الإسلاميّة اعتبرتهم بمثابة "مجتهدين"، وفي الوقت الحالي بدأ يأخذ التفكير الاجتهادي أهمية كبيرة، خاصة مع تزايد الإمكانيات لتحديث صورة الإسلام وتوفيقها وفق الظروف الآنيّة.

مع ذلك، فإنّه في إطار التقليد كانت هناك الكثير من المواضع التي يمكن من خلالها تطوير الآراء وذلك من خلال الرد على التساؤلات المختلفة ("فتوى"، الجمع "فتاوى")، والشخص المُخول بذلك تمت تسميته بـ"المُفتي".

وقد أدت احتياجات السلطة في كثير من الأحيان، إلى أن تظهر وتتطور الكثير من الأعمال التي لا تتناسب مع الشريعة، وأدى ذلك إلى احتكاكات بين رجال الدين وبين السلطة، أدت في بعض الأحيان إلى تحريض على التمرد ضد السلطة، وبعد أن رأى رجال الدين أنّه ليس بإمكانهم تغيير الواقع، اكتفوا بانتقاد أعمال السلطة شفاهةً وكتابةً، ومن هنا تطوّر الاعتقاد بمجيء "المهدي" أي الذي يسير على الطريق المستقيم، وسيأتي في آخر الزمان ليعيد الإسلام لسابق أوانه، وقد ظهر الكثير من "المهديين" في كثير من الأوقات بعدد من البلدان الإسلاميّة، وأشهرهم كان المهدي الذي ظهر في السودان أواخر القرن الـ19، واسمه محمّد أحمد.

4- اللاهوت: مثلما هو موجود في كل الظواهر المتعلقة بالإسلام، فإنّ اللاهوت في الإسلام اعتمد على القرآن، ذلك أنّ محمّدًا نفسه لم يضبط أسس العقيدة بشكل محدد.

وقد تبلور اللاهوت الإسلامي حول المسائل المتعلقة بالتناقضات بين أقوال النبي المختلفة، وحول الجدل مع النصارى وأبناء الديانات الأخرى، الذين كانوا محيطين بالمؤمنين بالإسلام.

وفيما يتعلق بالجدل مع من دخلوا الإسلام بالقوة من أبناء الديانات الأخرى، فقد احتل دين مانوي "المانويّة" مكانًا مهمًا في تكوين النموذج اللاهوتي الإسلامي، كما أنّ مجاورة الإسلام لعبدة الأصنام و"أهل الكتاب"، أدى إلى تكوُّن صياغة يكون كل مؤمن ملزمًا بها حتى الآن، وهي "أشهد أنّه لا إله غير الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله".

أمّا تحديد وصف للمسلم الكامل، فقد تمّ بشكل حاسم بالتزامن مع الخلاف الذي أحدثه الخوارج (انظر مقال "الخوارج" من الموسوعة) على أوصاف الشخص الذي يحق له الخلافة، ووفقًا لرأيهم فإنّ الشخص الذي ارتكب جريمة كبيرة لا يحق أن يُطلق عليه وصف "مؤمن"، وبناء على ذلك فقد طُرحت للنقاش أيضًا مسألة وصف الإيمان، وهل الإيمان يكون سليمًا حتى إن لم يصاحبه أعمال طيبة؟، وحتى مسألة الأعمال الطيبة هذه تسببت في حدوث خلاف في حد ذاتها فيما بعد: فهل الله، وفقًا لمقولة مذكورة بالقرآن "يهدي من يشاء ويُضل من يشاء"؟، وهل مسؤولية الإنسان عن أفعاله أمر مشكوك فيه؟، وكيف تتسق مع هذا الرأي فكرة الثواب والعقاب؟، أو أين هي مصداقية الله إذا كان "كل شيء بيدي السماء"؟. وكان الكثير من الخوارج يرددون هذه الجملة الأخيرة بكل دقة. أما معارضوهم الذين كانوا ينسبون للإنسان حرية الاختيار، فقد أطلق عليهم اسم" القدريّون".

كانت المحاولات الأولى لإخضاع هذه التساؤلات إلى نقاش منهجي ومؤسس، هي التي قام بها "المُعتزلة"، ونظرياتهم الأساسية حول هذا الأمر موجودة في محاضرة شاملة حملت عنوان "دليل الحائرين"، وكان مقصدهم الأساسي هو تطهير مصطلح الألوهية من كل ما يمكن أن يضر بوحدانية الإله أو مصداقيته؛ لذلك فسّروا كل التعبيرات القرآنية التي تصف الإله بلسان الاستعارة من أوصاف البشر (يد الله، عين الله...إلخ)، وقالوا إنّ هذه الأوصاف قيلت على سبيل الاستعارة وحسب، أما الأوصاف الروحانية لله، (العلم، القوة) فإنّها لا تنفصل عن ماهيته، وإنّ القرآن، كلام الله، لم يكن مخلوقًا منذ البدء، إلا أنّه تم خلقه. ومصداقية الله تستوجب أن يكون الإنسان مسؤولاً عن أفعاله.

وقد قوبلت هذه الأفكار بالكثير من الاعتراضات من جانب المتشددين الذين رفضوا طريقة التفسير هذه، والتي أخرجت أوصاف الله الواردة بالقرآن من بساطتها، كما اعترضوا على أنّ القرآن نفسه، أحد مخلوقات الله.

وقد استخدم المعتزلة الأسلوب الدياليكتيكي (كلام)، لذلك سُمي علماء المعتزلة بـ(المتكلمين)، وخلال القرن التاسع كانت نظرية المعتزلة هي تلك النظرية التي اعتمدها الخلفاء العباسيون، وهو ما أدى إلى أن تصل الأمور حدّ مطاردة كل من يتمسك بالفهم البسيط للقرآن، لكن في النهاية انتصر أسلوب تفسير أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (توفى 935) الذي حدد هو ومدرسته الفكرية صورة الإسلام لبقية الأجيال التي تلته.

وقد تأثر اللاهوت الإسلامي في مراحل تطوره المختلفة كثيرًا بالفلسفة الأرسطية، وتمت كتابة كتب إسلامية صيغت بها العقائد الإسلاميّة الواجبة على كل مسلم على شكل فقرات يُضاف إليها شروحات قصيرة، وكان أكثر الكتب انتشارًا في هذا المجال هو كتاب السنوسي (توفي 1490).

5- التصّوف: جذوره موجودة في القرآن، ليس هذا وحسب، بل إنّ المتصوفة وجدوا رموزًا له في القرآن، فسروها وفقًا لطريقة حياتهم. مع ذلك فإنّ القرآن يشتمل على فقرات محتواها التصوفي بارز جدًا، إذا لم نأخذ في الحسبان تلك المواضع التي تحتوي بشكل واضح على كلام الله للنبي أو تلك المواضع الغامضة، التي توجد في السور المبكرة جدًا والتي لا يمكن تفسيرها بشكل مُبسّط.

من بين الفقرات التصوفية "فقرة[15] النور" (الفقرتان 42، 35). كما أنّ المواضع الأساسية للتصوف بالقرآن تطورت في التفسيرات وكذلك مواضع في التوراة الشفوية وكذلك في أفكار عدد من "الزُهاد القدامى"، الذين لم يكتفوا بوجود الفروض مكتوبة، لكنهم حاولوا التقرب من الله عن طريق رفض حياة هذا العالم، وكان كل تفكيرهم متجهًا نحو السماء. ومن أمثال هؤلاء الذين ظهروا في الجيل الذي تلا محمّدًا، نجد أبا ذر الجعفري.

كما أنّ التوجهات التقشفية بدأت تزداد لدى المتصوفة المسلمين بمرور الوقت عن طريق التمعن في تقليد عادات كبار الرُهبان النصارى، ومع ذلك فإنّ المتقين المسلمين وفقًا للصيغة الرسمية نقلوا أقوالاً عن الرسول مثل "لا رهبانية في الإسلام".

حدث التحول من حياة التقشف والزهد إلى حياة التصوف التشاركية، على أيدي أشخاص من أمثال الحارث بن أسد المحاسبي (توفى 243هـ/857م)، الذي ساهم مساهمة فعّالة في تلك النظريات الدينية الأخلاقية.

ارتدى المتصوفة الذين انتقلوا بمرور الوقت إلى نموذج الحياة المشتركة، لباسًا خشنًا، يُعرف في العربية بـ"صوف" وأطلق عليهم وفق هذا الاسم "متصوفة" ومنها جاء الاسم "الصوفية" (انظر مقال الصوفية بالموسوعة) للتصوف الإسلامي. أمّا التصوف العملي فقد ظهر على أيدي المؤسسين، الذين فرَّقوا بين كل تصوف وآخر عن طريق "الطريقة"، وطريقتهم هذه تؤدي بمريديهم إلى "الوله". ومن بين الطرائق المعروفة هذه "طريقة المولويّة" ومركزها كان في قونيا في أناطوليا وهي التي طوّرت بشكل أساسي الرقص التصوفي (الدراويش الراقصون). وقد أُضيفت لأفعالهم التعبديّة أيضًا فكرة أو نظريّة

[15] تقصد الموسوعة بـ"الفقرة" هنا أي "الآية القرآنية" **(المترجم)**.

التصاق الإنسان بالله وأيضًا نظريات تتعلق بالحب (المحبّة)، والتي كانت مؤسسّة على أفكار أفلاطونية جديدة، ومن خلال ذلك نشأ أدب روحاني خاص من نوعه، أثّر بشكل كبير في الشعر.

واشتهر من بين شعراء المتصوفة بشكل خاص "حافظ" (توفى 1389، انظر العنوان نفسه بالموسوعة)، وجلال الدين الرومي (توفى 1273، انظر العنوان نفسه بالموسوعة)، وقد تمت ترجمة إنتاجهم للغات أوروبيّة وأثّروا في شعراء غربيين.

ومثلما حدث في اليهوديّة، فإنّ حركة التصوف في الإسلام، استخدمت كذلك بمثابة عنصر قوي لإحياء الفرائض العمليّة ولإنقاذها من الانقراض. ونتيجة لذلك فقد أثّر في الإسلام بشكل خاص، الغزالي (توفى 1111، انظر العنوان نفسه بالموسوعة) بكتابه الكبير "إحياء علوم الدين". أما الكتاب الكلاسيكي للتصوف فكان رسالة القُشيري (القرن الـ11)، وكان بعده ابن العربي (توفى 1240) وكان له تأثير كبير، إذ زاد بشكل خاص من التوجهات الغنوصية والإسماعيلية في التصوف.

و- دين الإسلام الرسمي:

1- **الفروض التي بين الإنسان والمكان**، تشتمل قبل أي شيء، على عبادة الله، ومن بينها خمسة فروض، تُسمّى أركان الإسلام، وهي :أ- الشهادة، بأنّه لا إله غير الله، وأنّ محمّدًا رسوله، ب- الصلاة (لفظة آرامية، צלותא) في خمسة أوقات محددّة باليوم، وحينها يجب أن يكون وجه الإنسان متجهًا نحو مكّة، ج- ضريبة الصدقة (زكاة، لفظة آرامية، זכותא)، وهي إسهام من الغني، وهي الضريبة الرسمية الوحيدة بالإسلام وطرق إخراجها محددّة بالقرآن، د- الصوم، في كل أيام شهر رمضان (انظر العنوان نفسه بالموسوعة) من شروق الشمس حتى غروبها، وهو يتضمن كذلك تحريمًا للتدخين، هـ- الحجّ (انظر العنوان نفسه بالموسوعة) إلى الأماكن المقدسة في مكة ونواحيها، وكل مسلم ملتزم بها لمرة واحدة على الأقل في العمر بشرط أن تكون لديه الوسيلة لذلك، وليس من الضروري القيام بهذا الفرض لو كانت هناك خطورة، والمرأة التي تقوم به تخرج مع زوجها أو مع شخص آخر قريب لها.

تشتمل الأعياد في الإسلام، باستثناء اليوم السابع من الأسبوع (يوم الجمعة)، على عيدين فقط. وبالنسبة إلى اليوم السابع من كل أسبوع، فإنه من الواجب على كل مسلم أن يشارك في صلاة الظهر بالمسجد الرئيس (المسجد الجامع)، للمدينة، وأن يسمع عظتين (خطبتان)، وهما جزء أساسي من صلاة الظهيرة، وفي وقتها تغلق المحال التجارية، لكن في بقية ساعات اليوم من غير المحظور العمل.

بالنسبة إلى العيدين، فهما العيد الكبير، الذي يحل في اليوم العاشر للشهر الثاني عشر "ذو الحجة" في الوقت الذي يتجمع فيه الحجاج في مكة، في حين يقوم المؤمنون خارجها بذبح كبش أو غنم (عيد الأضحى= عيد الذبيحة) وينضمون لإخوانهم مع غروب الشمس. والعيد الصغير هو الذي يحل في الأيام الثلاثة الأولى من شهر شوال الذي يأتي بعد شهر رمضان، ويمسي عيد الفطر، وبه يُكثرون من أكل الحلويات، لذلك فإن اسمه التركي هو "عيد السُكَّر".

تشتمل السنة الإسلاميّة على 12 شهرًا، يبدأ كل منها مع ولادة القمر، واسمها هو:1- محرّم، 2- صفر، 3- ربيع الأول، 4- ربيع الثاني، 5- جمادى الأولى، 6- جمادى الثانية، 7- رجب، 8- شعبان، 9- رمضان، 10- شوّال، 11- ذو القعدة، 12- ذو الحجة.

عدد أيام السنة هو 354 أو 355 يوم، وقد ألغى محمد وحرم بالتفصيل (السورة 9 الآية 36) السنة الكبيسة، وبالتالي فإنّ رأس السنة الإسلاميّة يأتي ناقصًا إمّا 10 أو 11 يومًا كل عام عن رأس السنة الشمسيّة.

يحتفل المسلمون بأعيادهم في كل أوقات السنة، وإحصاء الأعوام يبدأ في الـ15 أو الـ16 من يوليو من العام 622 للميلاد وفقًا للتقويم اليولياني، الذي هو رأس السنة التي هاجر فيها محمد من مكة إلى المدينة، وفي ظل قصر السنوات في التقويم الإسلامي، فإنّ سنة 1372 الإسلاميّة بدأت يوم 9 سبتمبر 1952 في التقويم الشمسي، ولم تكن هناك سنة إسلاميّة أكثر منها تواؤمًا مع السنة الشمسيّة، سوى سنة 1330 الإسلاميّة.

ولا يمكن الاعتماد على تفسير محدد عند وضع تحديد لسنة معينة في التقويم الإسلامي أو النصراني، وذلك مقارنة بالتقويم اليهودي والنصراني (240=712 "5"- 1952 "1")، إلا أنّه يجب استخدام تقويمات متزامنة. يُذكر كذلك أنّ رأس السنة ليس من بين الأعياد في الإسلام.

من بين فرائض الدين الإسلامي، تجدر الإشارة إلى لفظة "ختان" التي تساوي لفظة "زواج الدم" الواردة في سفر الخروج 4 و26، التي تعد مُلزمة في الإسلام حتى للبنات، لكن لا تُفعل بشكل عام في الرضيع الصغير، ولكن تفعل فيما بين سبع سنوات و12 سنة للمولود، في حين أنّه في اليوم السابع من الميلاد من المعتاد أن يطلقوا اسما على المولود.

فيما يتعلق بأحكام الأطعمة المُحرّمة، فإنّ الإسلام يَسَّر كثيرًا في هذا الصدد مقارنة باليهوديّة، فمن بين كل البهائم يُحظر فقط الخنزير، كما يُحرم كذلك الجيفة والدم، وأيضًا لحم الفريسة. أما فيما يتعلق بلحم

الخيول فإنّ هناك اختلافًا بين المدارس الفقهيّة، وبالنسبة إلى الذبح فهو حلال حتى لو تم على أيدي يهودي أو نصراني، وعند الذبح يجب القول "بسم الله"، إضافة إلى ذلك فإنّ الإسلام يُحرم خمر العنب (الخمر) وهناك من يحرّمون كل المواد التي تُسكر.

يعد أخذ الربا من المحرمات الكبيرة، كعبادة الأصنام، والقتل والزنا...إلخ، وهذا التحريم تسبب في إحداث كل الحِيل (المفرد "حيلة") من أجل السماح بعقد صفقة أو عقد معاهدات معينة، ومن أجل السماح بعمل أنشطة تجارية عادية.

وتُضاجع المرأة في الإسلام من قبل زوجها فقط، وهي مُحرّمة على أي شخص آخر، والرجل مسموح له أن يتزوج من أربع نساء، لكن بشرط أن تكون له المقدرة الاقتصادية لإعالتهن جميعًا، وبجانب الأربع نساء فإنّه من المسموح للرجل اتخاذ جاريات، وباستثناء هاتين الحالتين السابقتين، فإنّ أي اتصال جنسي بأيّة امرأة أُخرى، فهو زنا بشكل عام، كما أنّه من المحرم الزواج من أقرباء من درجات معينة. وتُعطى المرأة للرجل على أيدي زوجها أو على أيدي أحد أقاربها من الذكور، والذي يُزوج المرأة يُسمى "ولي" والزوج يدفع لزوجته "مهرا"، والزواج يتم إلغاؤه عن طريق الطلاق من قبل الرجل، أو عن طريق فدية شخصية من قبل الزوجة "خُلع"، أو عن طريق القاضي بسبب قصور في شروط الزواج "فسخ"، والرجل الذي يُطلق زوجته بإمكانه أن يُرجعها ويتزوجها مرتين، ولكن بعد المرة الثالثة يُعد الطلاق نهائيًا. والمرأة المطلقة بإمكانها الزواج برجل آخر بعد فترة معينة "عِدّة" من أجل تحديد إذا كانت حاملاً وقت الطلاق.

فيما يتعلق بالميراث، فإنّه توجد قوانين واضحة تم تحديدها بالقرآن، وصاحب الممتلكات بإمكانه أن يُخصص من ممتلكاته "وقف"، وأن يحدد مَن المستفيدين من الأرباح.

بالنسبة إلى العبودية، فهي محددة بكل تفاصيلها في القانون الإسلامي، وتحرير العبد يُعد أمرًا مرغوبًا فيه.

أما العقوبات، فتنقسم إلى عقوبات تم تحديدها بالقرآن (حَدّ)، وعقوبات تكون وفق رأي القاضي "تعزير" للثأر من الدم (العين بالعين) "القصاص" ولدفع أموال "ديّة".

تنقسم كل أفعال الإنسان وفقًا للشريعة إلى خمسة أنواع: 1- واجب، 2- مندوب، 3- مُباح، له منزلة وسطى من حيث الثواب والعقاب، 4- مكروه، 5- حرام.

3- **الفروض التي بين الإنسان والدولة:** هي مسؤولية رئيس الطائفة "إمام" الذي يقوم بدور "خليفة" النبيّ. وكانت الشروط الواجب توافرها في الإنسان الذي يقوم بهذه المهنة محل خلاف كبير، وكانت سببًا في ظهور الفرق المختلفة في الإسلام، (انظر ما يلي في المقال نفسه)، لكن في معظم الحالات كانت السلطة بأيدي أشخاص تولوها ليس بسبب مطالب دينية ولكن نتيجة مطالب أخرى، كما تم التحذير من الاعتراض على السلطة القائمة، وذلك بفرضية أنّ قيام سلطة بدون قانون، أفضل من غياب سلطة على الإطلاق، في حالة ما إذا كان الحاكم لا يأمر الشعب بانتهاك فروض الدين، لكن الجرائم التي ارتكبها أصحاب السلطة أنفسهم، أدت بالمتمسكين بكلام الله إلى الثورة في كثير من الأحيان، كما أدت في أحيان أخرى بهم إلى رفض الوظائف الحكومية وعلى رأسها وظيفة "قاض".

والمهام الأساسية التي يجب على الخليفة القيام بها - بشكل خاص، هي: جباية الضريبة المنصوص عليها في القرآن وإخراجها بطرق قانونية، وبشكل عام خلق الظروف الملائمة للحياة الدينية المنتظمة داخل الدولة - وإدارة الحروب المفروضة دينيًا (جهاد) ضد البلدان التي لم تخضع للإسلام (دار الحرب في مقابل دار الإسلام)، والإشراف على تقسيم الغنيمة. كما أنَّ الاشتراك في الجيش "مُجاهدًا" هو فرض كبير، وأن تُقتل في الحرب المفروضة دينيًّا (شهيد)، يعني ذلك أنّك من الموعودين في الآخرة.

من الناحية الشرعية، فإنّ وضع السلام مع البلدان الأخرى هو أمر مؤقت، لكن قانون الجهاد الذي تبلور في فترة الاحتلالات، أصبح قائمًا منذ زمن طويل من الناحية الشرعيّة فقط، لاسيما بعد أن اضطر الإسلام للانتقال من الهجوم إلى الدفاع بسبب تزايد قوة القوى الغربية العظمى.

ومن الممكن أن يكون تابعًا لسلطة الإسلام المسلمون فقط، و"أهل الكتاب" أي أصحاب الديانات التي لها توراة مكتوبة، أمَّا عبدة الأصنام فمفروض عليهم إما اعتناق الإسلام أو أن يُهجَّروا من البلدان الإسلامية أو يقتلوا.

يحظى أهل الكتاب بحرية دينية وأمان على حياتهم وممتلكاتهم، لكنهم لا يرثون المسلمين ولا يورثونهم، وهم يجب أن يدفعوا ضريبة - متدحرجة "الجزية"، ولا تُقبل شهادتهم وعليهم أن يحافظوا على عدة أوضاع مُهينة، مثل أن يكون محظورًا عليهم ركوب الخيل، وإلزامهم بلصق علامة على ملابسهم، ...إلخ (حول مدى تطبيق هذه الأوضاع والظروف، انظر ما سبق، ج، الجزء رقم 5).

3- الفروض بين الإنسان والإنسان: هي ليست محددة في الشريعة وحسب، لكنها تشمل أيضًا منظومة كاملة من الأعمال الطيبة من أجل قيام الدين الصحيح، خاصة بفعل تأثير المتصوفة الذين تطلعوا

إلى زيادة الفروض العملية وأيضًا ما لا يتعلق بعبادة الله؛ لذلك فقد أكّدوا على أهمية العبادة التي في القلب والقيام بالفرض من أجلها، والتأكيد على أهمية علاقة العدل والحق بين المسلم وأخيه المسلم، والاستقامة والصدق في معاملات البيع والشراء، واحترام الأب والأم وقيام علاقات طيبة بين الأقارب، وبشكل عام قيام حياة أخلاقية بصيغة العقائد الموحدة، والعطف على الفقير ومساعدة المحتاج.

4- يُقاس تدين الإنسان بمقياس إقامته للفروض، لكن محاولات المتشددين اعتبار المُخالف للفروض بمثابة كافر، أدت إلى إرساء القاعدة "أنّ كل مسلم يعد مؤمنًا طالما هو معترف بقوة الفروض الدينية وإلزاميتها، حتى إذا خالف هذه الفروض".

5- احتل النقاش حول أسس الإيمان مكانًا كبيرًا في الإسلام أكثر مما هو عليه الحال في اليهوديّة، على الرغم من أنّه لا توجد مؤسسّة في الإسلام مسؤولة عن تحديد أسس الإيمان الصحيح، كما لا توجد مؤسسة لفحص إيمان المؤمنين مثل مؤسسّة محاكم التفتيش في النصرانيّة. وقد أدى غياب مثل هذه المؤسسّة إلى وجود "مرونة معينة" فيما يتعلق بأمور الإيمان. فـ "الشهادة" أنّه لا إله إلا الله وأن محمّدًا هو رسوله، والتي هي من أسس الإيمان الرئيسة، هي فرض عملي؛ فالإيمان يتضمن كذلك الإيمان بوجود الله، وأبديته، ووحدانيته وقوته، وإرداته، وعلمه، ...إلخ، وأنّ العالم مخلوق، وأنّ النبيَّ حق وكلامه حق، وأقوال الأنبياء الذين سبقوا محمّدًا حق، لكن محمّدًا هو "خاتم الأنبياء" وليس من الأنبياء خطّاؤون، لكنهم بشر من لحم ودم مثلنا، ومن الممكن أن يُخطئوا. ويتضمن كذلك الإيمان بأنّ وجود الملائكة حق، وأنّ كل الكتب المقدسة هي حق، وأنّ القرآن لم يُخلق، لكن الإنسان خُلق بدون أن يكون مؤمنًا أو كافرًا، لكن من بداية ولادته "الفطرة" يمكنه أن يكون مسلمًا، وهو مسؤول عن أعماله وعن عقيدته، والإنسان سيقف بعد موته أمام عرش قاضي العالمين، والأنبياء هم للإنسان بمثابة دُعاة للصواب. وجنة عدن وجهنم حق، وكذلك الثواب والعقاب في العالم الآخر حق. كما أنّ الإيمان يتضمن أيضًا أعمالاً، علاوة على الاستعداد للقيام بالواجبات (هذا الأمر مُختلف عليه).

6- تقييم الإسلام: يجب أن يكون مؤسسًا على المقارنة مع أديان أخرى. إذ يبرز بشكل واضح الطابع القانوني البارز للشريعة في الإسلام، سواء في مفهومها العام أو فيما يتعلق بجوانبها الرسمية، وهو ما يزيد بكثير عما هو عليه الأمر في الشريعة اليهوديّة. كما أنّه في الإسلام، يعد الفرض بمثابة واجب والإنسان ملتزم بطاعة الله، وبدلاً من التعبير العبري "لتقيم الفروض" يقولون بالعربية "تنفيذ الفروض".

ويجب أن يكون الاتجاه أثناء الصلاة ناحية المسجد الذي بمكة تمامًا، والنية للقيام بفرض عملي تشتمل على إشهار مُفصل بذلك "ها أنا أنوي وأستعد" قبيل القيام بكل فرض وفي كل مرة. كما أنّ تحديد

أسس الفروض في أرقام (5 لأركان الإسلام، و5 للصلوات...إلخ) تعطي انطباعا سطحيًا أنّنا أمام عبادة خارجية- آلية وحسب، لكن في حقيقة الأمر فإنّ الخيرية التي في القلب ليست أقل في الإسلام مما هو عليه الأمر في أديان أخرى، خاصة وأنّ التصوف الإسلامي أثّر كثيرًا في طبيعة حياة المسلمين من ناحية وجود خيرية حقيقية؛ فحقيقة الأمر أنّ المستوى الأخلاقي للمسلمين لا يقل عن المستوى الأخلاقي في كل من اليهودية والنصرانية، ومع ذلك فإنّ البناء الاجتماعي للإسلام، الذي يختلف في مضمونه عن نظيره لدى الشعوب الغربية، لا يمكنه أن يعطينا تقييمًا حقيقيًّا للإسلام، علاوة على أنّ هجوم الثقافة الأوروبية على الإسلام، أصاب المسلمين المعاصرين بخيبة أمل تجاه كل ما يتعلق بهذه الثقافة ومفاهيمها.

7- كان تأثير الإسلام في اليهودية كبيرًا جدًّا في العصر الوسيط، فتحديد صياغة المقّرا وتنقيطها، تأثّر كثيرًا من ناحية الصورة الخارجية بما هو موجود في الإسلام، كما أن تطوّر أسس العقيدة في العقيدة اليهودية لا يمكن وصفه بدون الحديث عن النموذج الإسلامي، علاوة على أنّ تأثير الإسلام ملحوظ أيضًا في الشريعة اليهودية؛ فشرائع الميراث عند الحاخام ربي سعديا جاؤون متأثرة بالشريعة الإسلاميّة، كما أنّ سعديا جاؤون استعار من الشريعة الإسلاميّة طريقة تقسيم الفروض في "المشنا[16]" وفي كتابه "الوصايا" تم ذكر معرفته بنظرية "جذور الشريعة". كما أنّه تطور بين الإسلام واليهوديّة أدب جدلي كبير، أدّى إلى تزايد التأثير المتبادل فيما بينهما.

ز- الإضافات الشعبية إلى الدين الرسمي:

1- أُضفيت القداسة على شخصية محمّد في العديد من القصص الشعبية المليئة بالمعجزات والعجائب عن تاريخ حياته، تلك القصص التي تعرضه مثالاً للجنس البشري، في حين أنّ الشيعة والمتصوفة ينسبون إليه إمكانات فوق - بشرية.

لقد أصبح قبر محمّد في المدينة مكانًا للحج، ويزوره من يقوم بفريضة الحج. ويُحتفل بيوم ميلاده في غالبية العالم الإسلامي الذي يوافق الـ12 من شهر ربيع الأول، كما أنّه توجد صلاة خاصة لهذا اليوم، ويُلقى عدد من الأشعار الدينية به. كما أنّ يوم ميلاده ويوم وفاته تم تحديدهما، وفق النموذج الذي تم به تحديد يوم وفاة سيدنا موسى ويوم ميلاده (السابع من آذار)؛ إذ تم تحديدهما في يوم واحد.

[16] **"المشنا – מִשְׁנָה:** "كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري "שָׁנָה" ومعناه "كرر". ولكن بتأثير اللغة الآرامية صار معناها "درس". ثم أصبحت الكلمة تشير بشكلٍ محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وخصوصاً حفظها وتكرارها وتلخيصها. و"المشنا" عبارة عن مجموعة كبيرة من الشروح والتفاسير تتناول أسفار المقرا، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي وضعها معلمو "المشّنا" على مدار ستة أجيال. **(المترجم)**.

3- تحتل العبادات الخاصة بالقديسين مكانة مهمة في الإسلام، على الرغم من أنّه لا يوجد صديقيون أو قديسيون يتم الإعلان عنهم عن طريق مؤسسة معتمدة مثلما هو الحال في النصرانيّة، لكنهم في الإسلام يستمدون قداستهم عن طريق المحيطين بهم بسبب أعمالهم الطاهرة، ويُدعون بـ "الوليّ" ("قريب" أي قريب من الله)، وتكون لمعظم هؤلاء الأشخاص قداسة محلية فقط، مثال أحمد البدوي في مصر، وسيدي عقبة في القيروان، وابن مشيش في المغرب، وأبو أيوب الأنصاري "حامل راية الرسول"، في كوستا، وأحمد الرفاعي في الأناضول، .. وغيرهم.

كما يوجد عدد من القديسيين يعدون آباء لمهن معينة، مثال سلمان الفارسي، من صحابة النبي، الذي يعد من آباء مهنة الكتابة. كما يوجد للشيعة القديسيون الخاصون بهم، إضافة إلى عدد من القديسيين السُنة، كما يوجد عدد من السيدات القديسات المعروفات في الإسلام، مثال السيدة زينب في القاهرة.

3- الأماكن المقدسة لا حصر لها في الإسلام، فعلاوة على قبر النبيّ والصديقين والأولياء (جمع وليّ)، فإنّ قبور الأنبياء السابقين لمحمد تعد أماكن مقدسة في الإسلام، مثال قبر إبراهيم أبينا في الخليل، وقبر رأس يوحنا المعمدان في المسجد الكبير بدمشق. كما أنّ هناك قدسيّة معروفة في الإسلام لجبل الهيكل في القدس ولقبة الصخرة (اسمها الشعبي لدى النصارى "مسجد عمر" وهو اسم ليس له أساس). ويحتفل المسلمون في الكثير من الأماكن المقدسة بعدد من الأعياد في تواريخ معينة، والأكثر شهرة في أرض إسرائيل هو عيد النبي موسى، وتجدر الإشارة كذلك إلى أنّه نُسجت حول هذه الأماكن الكثير من الأساطير، التي تُمجد أسباب تقديس هذه الأماكن.

4- تحول عدد من الزعماء الدينيين في الإسلام إلى جزء عضوي من الدين الرسمي، على الأقل في نظر الشعب، على الرغم من أنّهم من وجهة النظر الدينية الرسمية يعدون بمثابة "خرافات"، لذلك فهم يُسمون من قبل رجالات الدين بـ"البدعة (حدث) والجمع" بدع".

كما أنّ أعمال السحر والشعوذة باختلاف أنواعها، احتلت مكانًا كبيرًا في الإسلام، وتعززت قوة الأدب الذي يتحدث عن أعمال السحرة. كما تطوّرت بشدة في الإسلام الأعمال المتعلقة بالتمائم، وتفسير الأحلام، وصور مختلفة من رموز جيش السماء وكل أنواع السحر. ذلك على الرغم من أنّ كتبة الكتب من هذا النوع يعترفون بشكل مباشر بأنّ السحرة وأعمالهم أمر مُحرّم وفقًا لعقيدة الإسلام. إلا أنّ بعض الأسس المعينة للإسلام تُستخدم مادّة للإيمان بالسحر، كما أنّ الإيمان بالأرواح وبالشياطين (الجِن) هو جزء من الدين الرسمي، والمعتقدون في هذه الأمور يستخدمون الحروف الغامضة (الفواتح) التي على رأس عدد من سور القرآن...إلخ، لكن معظم المواد التي يستخدمها السحرة مصدرها من خارج الإسلام.

ح- قيام الدين الرسمي في الواقع:

1- يمكن تفسير ذلك الحجم القليل للشريعة في الإسلام من خلال الحقيقة الأساسية القائلة بأنّه مع قيام دولة الإسلام لم تكن منظومة القوانين الدينية قد تطورت بعد. فالشريعة التي تطورت على مدار القرون الأولى للإسلام بالمدارس الفقهية المختلفة، كان من الضروري أن تحتل لنفسها مكانًا أوسع في الفضاء القانوني المعمول به، وحتى من خلال المنافسة مع المنظومة الإدارية نفسها، التي كان أمن الدولة وسلامها أهم بالنسبة إليها من تلك النتائج التي استنتجها رجال الدين المختلفون بعضهم مع بعض.

لم تكن الشريعة "قانونًا" بالمعنى القانوني للكلمة، لكن أسلوبًا للفروض الدينية، هدفها هو إحاطة حياة الإنسان بكل مظاهرها، لذلك ظلت الشريعة في أجزاء كثيرة من العالم مجرد نموذج وحسب، من هنا ظل منطق القوة هو السائد في العالم الإسلامي كله، لكن يُستثنى من ذلك تلك الفروض التي تربط بين الإنسان والمكان، فهذا الجزء من الشريعة يتعلق بالوضع الشخصي للإنسان وأمور الأسرة وترتيبات الميراث، وإن وجود قوانين حولها يختلف بشكل أو بآخر من دولة لأخرى، ففي إندونسيا على سبيل المثال يقيمون قوانين العُشر، وفي عدد من الأماكن الأخرى يقيمون القانون الجنائي بشكل ملحوظ.

ونجد بعض الكتابات التي تقول بأنّ الشريعة في الإسلام لا تؤثر في الحياة بشكل كبير أو في كل الأمور التي هي خارج إطار العبادات، لكن هناك معنى داخلي كبير جدًا في الإسلام يحذر من القيام بالذنب علنًا (مثل التدخين في رمضان)، وقانون الدولة يقف إلى جانب ذلك.

2- كان تأثير أديان بلدان الشتات في تقليل سلطة الشريعة أمرًا ملحوظًا جدًا، فالتضاد بين الشريعة وبين العادة أو القانون السائد، كان أمرًا قائمًا ومن الصعب التغلب عليه، فعادة ما سحق القانون الإسلام بشكل أكبر مما كان عليه الحال في اليهودية، نظرًا لأنّ الإسلام لم يكن دينًا قوميًا وحسب، بل انتشر بين الكثير من الشعوب المختلفة، التي ظلت مخلصة لعاداتها بشكل متفاوت.

3- أثّرت العلاقات مع الدول غير الإسلاميّة ليس فقط فيما يتعلق بمعوقات إقامة القانون الإسلامي بشكل كامل، ولكن أيضًا في تطبيق روح الشريعة نفسها، ليس هذا وحسب، بل إنّ البلدان الاستعمارية تنكرت في الكثير من البلدان للقانون الديني المعمول به ووضعوا طرائق لمقاضاة أبناء الأراضي المحتلة وفق قوانين بلدانهم الغربية، مثلما فعل البريطانيون في الهند، والهولنديون في إندونسيا، والفرنسيون في المغرب، وتراجعوا عن ذلك فقط بعدما ثار سكان المناطق المُستعمرة بشدة، تلك الثورات التي وصلت في بعض الأحيان حدّ التمرد. كما أنّ الدول الاستعمارية الغربية الكبرى أجبرت دولاً مستقلة مثل تركيا على

أن تحيد عن طريق الإسلام التقليدي وأن تُعدل قوانينها وفق مطالب الغرب ومفاهيمه، فقد كانت تحديثات القانون التركي التي هي الجزء الأكبر من تعديلات القرن الـ19 (انظر مقال "تنظيمات" من الموسوعة نفسها) هي في غالبيتها نتيجة مباشرة لضغوط الدول الغربية الكبرى.

ط- الفِرق:

1- أسس تكوّن الفرق:

تم استخدام الطابع الديني والسياسي للإسلام (انظر الجزء ب، رقم 2 من الموسوعة) في محاولات منظّمة لإقامة مملكة الله على أجزاء واسعة من الأرض، لذلك فإنّ كل خلاف سياسي ذا أهمية أخذ أيضًا صورة الخلاف الديني، كما أدى أيضًا الخلاف في الآراء الدينية إلى التحزب السياسي، إذ إنّ الدين والسياسة في نظر المختلفين والمتحزبين مجالان غير منفصلين بعضهما عن بعض، وهذه القاعدة تم تطبيقها على الحركات الفكرية الروحانية فقط، مثل المُعتزلة (انظر الجزء ه، رقم 4 من المقال نفسه).

2- الفرق القديمة:

كانت قائمة في أيام بني أُميّه، وهي نموذج واضح لما قيل سابقًا؛ فالخوارج (انظر الجزء السابق) تركوا معسكر عليّ، الخليفة الرابع، خلال حربه ضد خصمه معاوية، بسبب خلافات حول طريقة قيادته بوصفه قائدًا عسكريًّا، والتي لم تكن تتفق مع آرائهم الدينية، إلاّ أنّ الخوارج لم تكن لهم أهمية كبيرة في تاريخ الفرق في الإسلام، وحاليًا ليسوا بعنصر فاعل في العالم الإسلامي؛ فهناك فقط في جنوب الجزائر، وعمان وزنجبار بالقرب من الخليج الفارسي، فرقة للخوارج تُسمى بـ"الإباضيّة".

تسببت الشيعة (أي الكتلة المنحازة لحق علي ونسله بالسلطة في الإسلام) في الإضرار بشكل مباشر بوحدة الإسلام، ليس هذا وحسب، بل إنّ هناك الكثير من البلدان ظلت شيعية حتى يومنا هذا، كما أنّ تأثير الشيعة في تطور اللاهوت الإسلامي كله أمر ملحوظًا جدًا، وتركت بصمة على عدد من المظاهر المهمة لروح الإسلام، مثال ما تركته من أثر على الجغرافيا التاريخيّة، كما أنّها تختلف عن الإسلام السُّني في الشريعة العملية وطريقة تحديد هذه الشريعة.

والنظرية الأهم التي يختلف بها الشيعة عن السُّنة، هي تلك النظرية المتعلقة بموضوع "الإمام" (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) من نسل علي، الذي اختفى وهو حيّ، ومن المنتظر أن يعود ويظهر في وقت معين.

تختلف فرق الشيعة في ما بينها حول شخصية هذا الإمام، وحتى الآن توجد ثلاث فرق مهمة تتركز في مناطق جغرافية معينة، 1- الاثني عشرية، والذين وفقًا لهم يوجد 12 إمامًا، الأخير منهم هو الإمام الغائب، وهم علي (الخليفة الرابع) وابناه الحسن والحسين، وأحفاد الأخير، علي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد التقي، وعلي الهادي، وحسن العسكري ومحمّد المهدي، وهو الإمام الغائب، الذي اختفى عام 260/874. ويتبع هذه الفرقة من الشيعة كل من إيران، وجزء كبير من سكان العراق، 2- الإسماعيلية: الذين يعترفون بإسماعيل ابن جعفر الصادق بوصفه آخر إمام، لذلك سُميت هذه الفرقة بالإسماعيلية (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، وهناك بقية من أتباعهم توجد في الهند حاليًا، وكانت سلالة الفاطميين في مصر بالعصر الوسيط تتبع لهم. 3- الزيديّة: وإمامها هو زيد بن علي زين العابدين الذي قُتل سنة 121/739، وتتمسك اليمن بهذه الفرقة من الشيعة إلى يومنا هذا.

3- من بين الفرق الإسلاميّة المختلفة، تجدر الإشارة إلى الدروز (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) في لبنان، وهم يؤمنون بألوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (توفى 1021؛ انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، وبظهوره مرة أخرى في آخر الزمان. كما يعيش في لبنان أيضا النُصيريون (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) الذين يؤمنون هم كذلك بألوهية عليّ ويضعونه في مكانة أعلى من مكانة محمّد، ويوجد في عباداتهم طابع وثني واضح.

4- الوهّابيون (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، مؤسسّها هو محمّد بن عبد الوهّاب (1703-1787) ولا يعتبرون أنفسهم فرقة، وهم أحيوا مذهب أحمد بن حنبل بذلك الشكل المتشدد الذي أعطاه له ابن تيمية (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، من أجل إعادة عزة الإسلام القديم، وهم يُحرّمون عبادات القديسيين وكذلك التحديثات التي اعتمدت عن طريق الاتفاق (الإجماع)، وقد أدّى إلغاؤهم للإجماع وشروعهم في فهم الشريعة وفق تفسير مستقل للمصادر (اجتهاد)، إلى إخراجهم من إطار الإسلام الرسمي. إلا أنّ أهميتهم التاريخية ازدادت حينما انضمت إليهم سلالة ابن سعود (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) التي تسيطر على الأماكن الأكثر قداسة بالإسلام وهما مكة والمدينة، كما توجد في الهند كذلك بعض الفرق الوهّابية.

5- توجد فرقة جديدة أيضًا في الإسلام وهي "الأحمديّة" التي ظهرت في أواخر القرن الـ19. وعلى الرغم من أنّها مؤسسة على القرآن إلا أنّها تعد في نظر بقية المسلمين خارج معسكر الإسلام، ورئيس هذه الطائفة حاليًا هو ميرزا بشير الدين محمود أحمد، والذي ينسب فرقته إلى الإسلام الحقيقي.

ي- العلم والتعليم في الإسلام:

1- الإسلام منتجًا للعلوم: كما هو الحال في النصرانيّة، كان الدين في الإسلام أيضًا سببًا لتطور البحث العلمي، كما أنّ التفاسير الإسلاميّة في حد ذاتها يجب أن تُقرأ قراءة علميّة، على الرغم من أنّها تتكون في عمومها من أسس غير علمية.

كما تم إعلاء نظرية الشريعة إلى مرتبة علمية على أيدي الإمام الشافعي، كما أنّ المناقشات حول أسس العقيدة المتأثرة بالفلسفة، أعطت لفرع التفسير صورة العلم من بين فروع المعرفة الإسلاميّة، كما أنّ هذا الفرع من البحث الإسلامي ولَّد بحوث مقارنة الأديان، وممثله الأشهر في الإسلام كان ابن حزم (انظر العنوان نفسه بالمقال نفسه) والشهرستاني.

كما كان الإسلام عنصرًا مُساهمًا في تطور الكثير من العلوم الأخرى؛ فالبحث اللغوي في القرآن بدأ بشكل عملي مع إعداد القرآن في زمن الخليفة عثمان، ووصل إلى ذروته مع إصدار القرآن الملكي لفؤاد ملك مصر، عام 1925.

يشتمل أدب القواميس والمعاجم العربية أيضًا على كتابات مخصصة بشكل خاص للغة القرآن والحديث، أما الأدب التاريخي فمرتبط ببداية تاريخ حياة محمّد، ما أدى إلى الاهتمام بتاريخ العرب قبل الإسلام، أما الأدب الجغرافي فقد استخدم من أجل معرفة طرق الحج وتقدير الأراضي المستخدمة في الرحلات البرية، كما أنّ الجغرافية الحسابيّة تطورت بسبب احتياجات دينية، بهدف تحديد وجهة كل مسجد جديد، من أجل أن يتجه المصلون إلى القبلة بدون أي انحراف، إضافة إلى إجراء عمليات حسابيّة مُعقدة لتحديد أنصبة المواريث كما هو منصوص عليها في القرآن؛ لذلك ساهم الإسلام في تطور علم الحساب، كما أُضيفت أهميّة كذلك لعلم الفلك من أجل تحديد التواريخ. وقد استفادت كل هذه الأفكار الإسلاميّة العلميّة بالعلوم اليونانية، على الرغم من أنّ المسلمين المتشددين عارضوا تعلم العلوم العلمانيّة، إلا أنّهم لم يتمكنوا من عرقلة تعلم العلوم "المُحرّمة".

2- مؤسسات التعليم والتربية: كان التعليم في الإسلام مرتبطًا في البداية بالدين، وكان يُدار في المسجد، وفي الكثير من الحالات كانت تقام مكتبة بالقرب من كل مسجد، وهذا الوضع قائم حتى اليوم في كوستا، كما أنّه في وقت مبكر جدًا تم تأسيس عدد من المدارس التعليمية العليا المستقلة، مثال بيت الحكمة

الذي تم تأسيسه في بغداد على يد الخليفة المأمون 813-833، كما أقام الفاطميون في القاهرة مؤسسة مشابهة.

تطور في البلدان الشرقية الإسلاميّة النمط المعروف باسم "مدرسة"، والمؤسسّة الأكثر شهرة من هذا النمط كانت تسمى بـ"النظاميّة" في بغداد وتأسست عام 1067. كما أسّس صلاح الدين في القدس عددًا من المؤسسات من هذا النوع، كذلك كانت توجد عدة بيوت تعليمية مرتبطة بالرهبان (خانقاه، رباط). أما علوم الطب، فكانت تُدرس في بعض الأحيان بالمستشفيات.

أما الجامعة الكبر في الإسلام، فهي الأزهر (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) بالقاهرة، الذي تأسس عام 971.

كان حجم ما يُدرّس في كل هذه المؤسسّات من علوم ومهن يختلف باختلاف الزمان والمكان، وكان الطب يُدرّس بها كما كان يُدرّس في المساجد أيضًا.

وقد تحسّنت في وقتنا الحالي مؤسسات التعليم بشكل كبير، وفق احتياجات الثقافة الجديدة، كما تم تأسيس جامعات وفق النموذج الأوروبي في العالم الإسلامي، مثال الجامعتين باسم فؤاد في القاهرة واسم فاروق في الإسكندريّة. كما أنّ الجامعات الفرنسيّة في شمال غرب أفريقيا تنافس من حيث مستواها العلمي الجامعات الأوروبيّة، فمن بين أهم أساتذتها يوجد أساتذة فرنسيون. تجدر الإشارة كذلك إلى ارتفاع مستوى التعليم في أماكن إسلامية في الهند وباكستان. مثال "بعليجرا" التي عمل بها أساتذة يهود.

وقد تغذّت المعرفة البيداغوجية للإسلام من مصادر دينيّة ويونانيّة؛ فنجدها متبلورة في الأدب الغني حول تعليم الأمراء المسلمين قبيل توليهم مناصبهم.

3- الحملة الإسلاميّة: يرجع انتشار الإسلام خلال القرون الأولى من ظهوره، نتيجة من حقيقة أنّ شعوب البلدان التي احتلها الإسلام، عرفوا أنّه سيكون من الأفضل بالنسبة إليهم الانضمام إلى الدين الجديد الذي يحكم، وفي الوقت الذي تزايدت فيه الأرستقراطية العربية بسبب الاستبداد خلال فترة بني عباس، انتقلت المهام التنفيذية من أيدي العرب إلى أيدي الأمم المجاورة لهم، وعلى الرغم من انتهاء فترة الاحتلالات إلا أنّ أعمال الحملات الإسلامية مستمرة، خاصة بين أبناء أفريقيا التي ينتشر فيها الإسلام أكثر من انتشار النصرانيّة.

ي أ- أزمة الإسلام حاليًا:

1- تراجع القوة- الخلاقة:

كان الإسلام في النصف الأول من العصر الوسيط، هو القوة الثقافية الضخمة في الشرق والغرب، وأثّر بشكل قوي كذلك في الثقافة الأوروبية (انظر جزء ي ب من المقال نفسه). لكن شعوب الغرب تحررت من تأثير الإسلام، بعدما تكتلت سياسيًا وثقافيًا، وعن طريق صلتهم بالحركات الإنسّانيّة وبالنهضة خلقوا ثقافة تخص أصولهم، في حين لم يشارك الإسلام في هذه الحركات الثقافية، لأنّه لم يكن في قوته التي اتسم بها في بدايته لكي يتمكن من الاندماج في الثقافات الروحانية. وتراجعت خلال الألفيّة الأخيرة القوة الخلاقة للإسلام وظهر ذلك بشكل واضح في مجالات الأدب الرفيع، والفنون والفكر، كما تراجعت قوة تأثيره أيضًا في مناطق آسيا وأفريقيا.

2- حدث التواصل بين الإسلام وأوروبا بواسطة طرائق مختلفة، وكان الأتراك الذين احتلوا دول البلقان هم الأوائل في إحداث هذا التواصل الثقافي مع جيرانهم النصارى، لكن شعوب الغرب تسللوا بشكل كبير ومتزايد إلى داخل فضاءات الإسلام نفسه، في الهند، وجزر المحيط الهادي وفارس والشرق الأوسط (وخاصة مصر) وحتى في المغرب. وأصبحت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تحت حكم الدول النصرانيّة الكبرى.

وقد أدى التفوق الثقافي والتقني لشعوب الغرب، والحاجة لمواجهة هجماتهم الروحانية الخطيرة، أدى لحدوث أزمة عميقة في هذه البلدان، تلك الأزمة التي مسّت الدين نفسه، وهي أزمة ماتزال مستمرة، ومن الواضح أنّها تختلف في طابعها وحجمها من كل بلد لآخر، وفقًا لوضعها الثقافي ووفقًا لحجم اتصالها بالغرب.

3- الحداثة ومضادها في الدين: نتيجة لتأثير الغرب، فقد ظهرت جنبًا إلى جنب توجهات للحداثة ومضادها في آن واحد. وأحيانًا داخل حركة واحدة، والنماذج القديمة لذلك نجدها في فرقة "الفرايدية" التي تأسست في النصف الأول من القرن الـ19 في الهند على أيدي الحاج شريعة الله، وحركة الإصلاح في هذا البلد نفسه وفي الوقت نفسه على أيدي مؤسسّها أحمد خان، وفي شمال أفريقيا تأسسّت على أيدي أحمد علي السنوسي حركة السنوسيّة (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) التي اتسمت بتوجهها العسكري.

كان رد الفعل الأهم لمواجهة هذه الأزمة في ما يخص الساحة الدينية، ومن أجل إيجاد قاعدة، بإمكانها مواجهة الواقع الجديد، هو رد الفعل الذي خرج من مصر على أيدي جمال الدين الأفغاني (توفى

1897) وهو الأب الروحي للحداثة الإسلاميّة (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها). من أجل تعزيز مقاومة الإسلام عن طريق القوة المُنظَّمة لحكومات البلدان الإسلاميّة، وفي الوقت نفسه سعى لتطهير الإسلام من الخبائث التي التصقت به على مر الزمن وشوهت صورته.

ويعد محمّد عبده (1849-1905) الذي كان شيخًا للأزهر، وفي أيامه الأخيرة أصبح مفتيًا لمصر، من أهم تلامذة الأفغاني، وقد أسس- أي محمد عبده - مدرسة تسعى إلى تحديث الإسلام عن طريق العودة لمصادره القديمة، وعن طريق إلغاء المذهب والتقليد (انظر ما سبق)، وعن طريق وضع تفسير جديد لمنظومة الفروض الدينية، وهو ما سيثبت قوة قدرة انسجام الإسلام مع العالم الحديث. وكان الناطق باسم هذه المدرسة هو صحيفة "المنار" التي ترأس تحريرها محمّد رشيد رضا. كما أنّ هذه المدرسة نشرت تفسيرًا للقرآن بروح نظريات هذه المدرسة.

كما قامت حركة ليبرالية كذلك في الهند، وكان من قادتها سيد أمير علي، وخدابخش ومحمد إقبال، وتم توزيع عبء الفروض الإسلاميّة على طبقات واسعة جدًّا، بدون الارتباط بنقاشات رجال الدين الطامحين لاستغلال الإسلام.

أدى انتشار تأثير الغرب إلى إلغاء الخلافة الإسلامية على أيدي قرار صدر من الجمعية الوطنية التركية عام 1924، وأصبح الإسلام قائمًا لأكثر من ربع قرن من دون أن يقوم بمحاولة جادة لتحديث نفسه. لكن وضع المرأة في الإسلام تحسّن كثيرًا حاليًا وأصبحت تُشارك بشكل كبير في الحياة العامة، والاقتصاد والأدب والفن والعلوم وذلك بعد أن احتلت ثقافة الغرب مكان الثقافة الأخلاقية.

كما أنّ فكرة القومية التي حلت محل فكرة الوحدة الإسلاميّة الدينيّة في عدد من البلدان، نشأ عليها عدد من السياسيين أصحاب نعرة قومية. في الوقت نفسه الذي أدى فيه انتشار الثقافة الحداثية إلى إحداث ثورة في مراكز الإسلام القديمة.

بالنسبة إلى الحجّ فقد أصبح ممكنًا القيام به حاليًا باستخدام السيارة، وفي السنة الأخيرة تم استبدال الإضاءة التقليدية بإضاءة كهربائية في الكعبة.

5- تعد البهائيّة (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، إحدى ردود الفعل الإسلاميّة على الهجوم الغربي؛ إذ إنّه مع تأسيسها كانت هذه الحركة صوفية، لكنها أصبحت الآن تأخذ صورة الدين المستقل، ونظرًا لأنَّ الحركة سعت لتوحيد الإنسانيّة على التوجهات الأخلاقيّة المشتركة للإسلام ولكل الديانات

والثقافات، ونظرًا للصدى الكبير الذي وجدته الحركة في الغرب، وخاصة في أمريكا، فإنّهم يُصنفون هذه الحركة ضمن مكان خاص في تاريخ تطور الإسلام.

ي ب- مساهمة الإسلام في الثقافة العالميّة بكل جوانبها:

1- في مجال الدين، نشر الإسلام التوحيد النقي، وأدى بمئات من الملايين من البشر لاعتناق أديان أكثر نقاءً.

2- في مجال الأدب، منح الإسلام للعالم كله إنتاجًا خاصًا، يعد كنزًا مهمًا للغرب أغنى به أدبه. يكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أشعار الفرس مثل عمر الخيام (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) وحافظ (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها). وفي مجال النثر، تذكر المجموعة القصصيّة "ألف ليلة وليلة" (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها). كما أثّر الشعر العربي بشكل كبير في الشعر العبري خلال العصر الوسيط وفي الشعر الإسباني أيضًا. كما تأثّرت أشعار الحب الفرنسيّة والألمانيّة في العصر الوسيط بالشعر العربيّ، وتجدر الإشارة إلى تأثير أفكار دينيّة إسلاميّة على الكوميديا الإلهيّة لدانتي. وكذلك تأثير صورة الرواية العربية على دون كيشوت لسيرفانتيس.

3- وفي مجال الفنون، مازالت المباني الفخمة في البلدان الإسلامية تشهد على أهمية الثقافة الإسلاميّة في هذا المضمار (انظر "إسلام. فنون" في الموسوعة نفسها). وقد أثّر الفن الإسلامي في الفنون الأوروبية عن طريق صور فنيّة حديثة وأصلية. على سبيل المثال كان القوس "القوطي" موجودًا في مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة قبل زمن كبير من وجود هذا الأسلوب القوطي في أوروبا. كما أنَّ الإنتاج الإسلامي البارع في هذا المجال أغنى كثيرًا الأعمال الأوروبيّة، خاصة المرتبطة بأعمال الزخرفة، وهو ما ظهر في الكاتدرائيات النصرانيّة في إسبانيا وصقلية. كما يُلاحظ كذلك تأثير إسلامي بارز في كثير من المعابد اليهودية بأوروبا.

4- يظهر إسهام الإسلام بشكل واضح في مجال العلوم الدقيقة أيضًا، وذلك ليس لأنّ التراث اليوناني ظل محتفظًا بما جادت به الثقافة الإسلامية ووصل إلى الغرب عن طريق الترجمة وحسب، لكن أيضًا لأنّ الإنجازات العلمية للمسلمين كثيرة في مجالات الرياضيات والفلك، والطب وعلامات الرياح. إضافة إلى أنّه حتى الآن يشهد عدد الكلمات العربية الكثيرة في العلوم المختلفة على أصلها العربي، مثال "الجبر"، وأسماء عدد كبير من النجوم، وأيضا أسماء مثل الكيمياء والكحول ... وغيرها. كما نجد أهمية كبيرة في

الأدب العربي للطبيب الكبير في العصر الوسيط "الرازي" (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها)، والذي كان وصفه لعدد من الأمراض أمرًا ذا أهمية بالغة حتى يومنا هذا.

أما كتاب بطليموس الذي استخدم أساسًا لعلم الفلك حتى أيام كوبرنيكوس، فهو معروف في العالم باسمه العربي "المجيسطي" (انظر مقالات مختلفة حول عدد من العلماء بالموسوعة).

كما أنّ الإسلام أنتج علومًا جديدة أيضًا، فقد كان البيروني (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) أول من ألّف كتابًا لمقارنة تواريخ الشعوب المختلفة، وكان ابن خلدون (انظر العنوان نفسه بالموسوعة نفسها) هو مبتكر علم الاجتماع.

4- كان الإسلام خلاقًا كذلك في مجال التجارة والمفاوضات العالمية، ويشهد على ذلك عدد من الكلمات التي أصبحت مُستعملة في كل اللغات الأوروبية، مثل "تعريفه"، وهي كلمة عربية معناها "معروف أو مُعرّف". كما أنّ كلمة "مجازين" الأوروبية ما هي إلا "مخزن" العربية. كذلك نجد كلمات أدميرال وترافيك، وشيك، هي كلمات إسلامية. وفي كثير من الحالات تمت ترجمة الكثير من الكلمات الإسلاميّة إلى لغات أوروبيّة بشكل يُخفي أصلها الإسلامي.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com
www.mominoun.com